

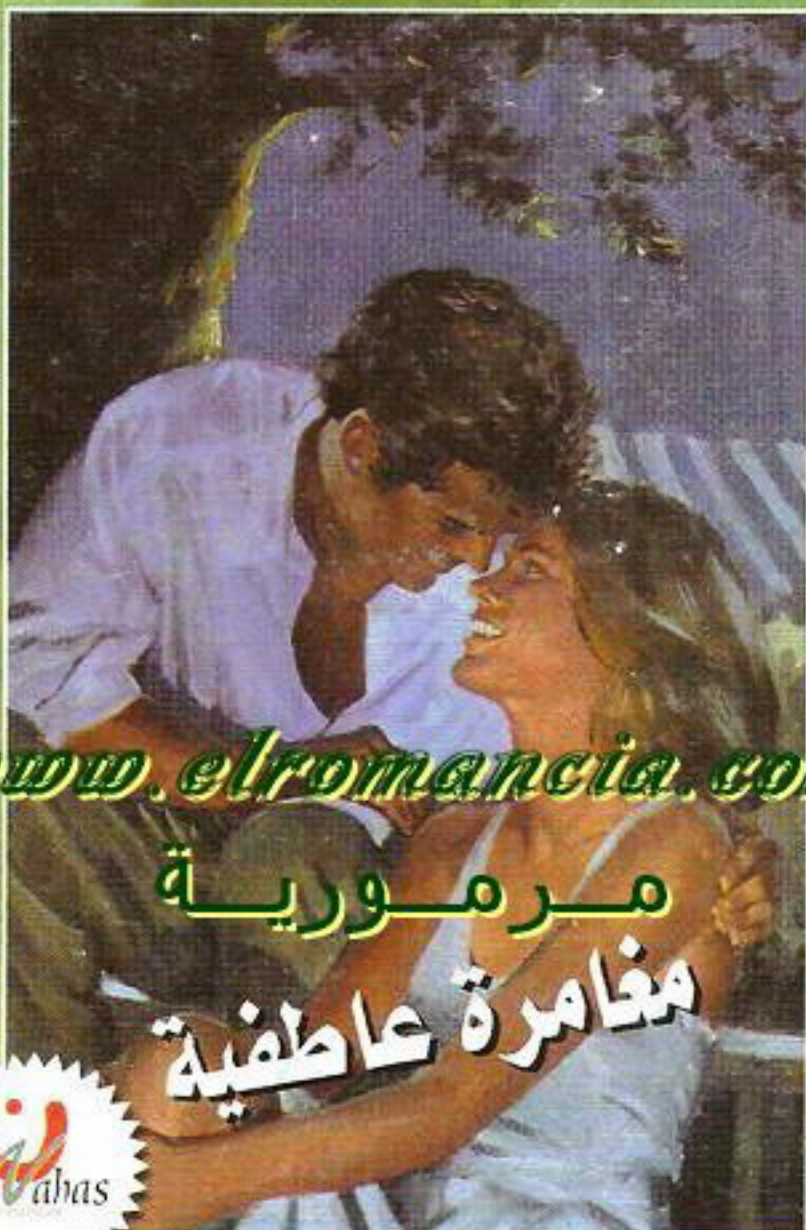


HARLEQUIN

كبيرة

1135

١١٣٥



www.elromancia.com

مرمورية

مغامرة عاطفية



صادر تحت دارم. القحاس

مغامرة عاطفية

كارن فان ديرزي

سافرت ساشا الى افريقيا بحثاً عن المغامرة وفي الوقت

نفسه لزيارة ابنة اختها فيكي التي تعمل أستاذة تريض

في اويالابي. وشعرت بأن مغامرتها ابتدأت حين لاقاها

الدكتور روس غرانت في المطار. وقد حضر لاصطحابها

بناء على رغبة فيكي.

لكن في اللحظة التي جلست فيها بالسيارة اعلمها انه لا

يحبذ وجود خالة عانس في افريقيا. لم تهتم ساشا لكلامه

بل صممت على البقاء والعمل ايضاً.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم
السعودية: ١٠ ريال - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم
مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس: ٢ دينار

ساد جو من التوتر بينهما .
لمع شيء ما في عينيه ، وكأنه يتصارع بينه
وبين نفسه ، رأت نوراً جديداً في عينيه .
وبعدها قبلها بقوة . للحظة بدا وكأنه فقد
كل مقاومة ، ابعد يديه عن كتفها ليرفعهما
ويضعهما في شعرها . ووجدت نفسها
مضطربة . . . وضائعة .

١١٣٥

كبير

Abir 1135

مغامرة عاطفية

كارين فان دير زي

دار مؤسسة النحاس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

كارين فان دير زي

كارين هولندية الاصل، منذ طفولتها تهوى امرين هما: الكتابة والسفر. وتعتبر نفسها محظوظة لانها متزوجة من رجل اميركي يحب السفر مثلها. تزوجا في كينيا وانجبت طفلتها الاولى في غينيا والثانية في اميركا. وتأمل في انجاب طفلها الثالث في فيرجينيا حيث تعيش مع عائلتها حالياً.

الفصل الاول

نظرت ساشا حولها في قاعة الانتظار المليئة بالناس وهي تمسك بحقيبتها وحقيبة يدها. كانت تشعر وكأن أفكارها مشوشة بسبب التعب والحماس. لقد قامت بذلك! ها هي الآن في القارة الافريقية. تنتظرها وراء باب الخروج المغامرة. كما تمننت.

لم تستطع الآن ان تراقب الرجل الكبير الذي يقف بعيداً في قاعة الانتظار. وفي وسط الحشد الكبير من الافريقيين بثيابهم الملونة كان يبدو غريباً. يرتدي بنطالا قصيراً كاكي اللون، وقميصاً قصيرة الاكمام، ويعتمر قبعة قديمة على شعره الاسود. بدت ثيابه مليئة بالغبار ومجعدة، وكان واضحاً انه ليس سائحاً قدم للتو من مدينة نيويورك.

كذلك بدت هي ايضاً مختلفة، طويلة القامة بيضاء البشرة وترتدي تنورة قصيرة. كان الرجل عريض الكتفين يبدو وكأنه ينتمي الى عالم السينما - الصياد الابيض، المغامرة، او عالم انساني يجري بحثاً عن احتفالات الزفاف عند القبائل. لا، لا يعقل ان يكون صياداً، فالصيادون ينتمون الى اقسام اخرى في القارة.

وحتى على مسافة منه، شعرت بأنه مغرور ويشعر بأهمية ما لنفسه، وكأنه لا يهتم بما يفكر به الغير عنه، او كأنه ليس بحاجة لأحد.

ابتسمت لنفسها وعادت تنظر الى الحشد الفرخ والمشع

بكثرة الالوان، بعدها نظرت ثانية الى الرجل الواقف بمفرده.

كان من الواضح انه الرجل الغربي الوحيد الذي ينتظر احدا ما. هل يعقل ان يكون روس غرانت؟ وجدت الفكرة بذاتها مشوقة.

لقد وصلت برقية فيكي قبل ساعات فقط من مغادرتها لنيويورك.

« سيقلك روس من مطار اكررا. لا تحاولي السفر بمفردك. اراك قريباً. فيكي.»

روس يعني روس غرانت، وهو احد الطبيبين اللذين يعملان في مستشفى اوبالابي في شمال غانا حيث تعمل فيكي، ابنة اختها، ك معلمة لمهنة التمريض. لم تذكر في البرقية اية معلومات عما يبدو عليه روس. فقد يعقل ان يكون مغفلاً وقصير القامة.

لا يبدو عليه انه الطبيب، ولا يشبه اي طبيب قد رآته في حياتها. فهي معتادة على الاطباء الذين يرتدون الثياب البيضاء ويتحدثون معك بكلام مريح وهم يعاينوك. وهذا الرجل لا يبدو عليه انه ينغمس في حديث مهما كان قصيراً.

ولذا فربما هو ليس روس غرانت بالمطلق. ربما كان مغامراً لديه ماضٍ مظلم، مليء بالاسرار المؤلمة ولا قدرة لديه لتحمل احد. شخص منعزل قرر ان يمضي حياته تائهاً في الادغال. اذا ماذا يفعل هذا الرجل في المطار؟

امسك ولد مراهق ضعيف بحقيبتها وقال:

« سيدتي، هل اساعدك؟ » وابتسم لها ابتسامة كبيرة محاولاً ان يؤثر فيها، وهذا ما حصل. كما وان وجوده يعتبر مساعدة لها، فحقيبتها ثقيلة وتشعر بانها تزداد ثقلاً كل دقيقة تمر. رفع الولد الحقيبة ببساطة، فتبعته واخذت تنتقل بين الحشد الكبير مع كل الصناديق والسلال والاكياس ومع كل مهارة الولد لم تتمكن من التقدم الا لمسافة قصيرة.

حسناً، فهي ليست على عجلة من امرها. وامسكت خصلة من شعرها لتعيدها الى مكانها تحت قبعتها. كانت قبعة كبيرة ذات اطار كبير مع وردة حمراء قديمة الطراز، عندما تذهب الى افريقيا فأنت تحتاج الى قبعة لتحمي وجهك من الشمس، وخاصة اذا كان لديك مشكلة مثلها، فلديها شعر احمر مشرق وبشرة رقيقة وحساسة.

بطبيعة الحال خف الازدحام. لم يبد على الرجل اية مظاهر من الفرح، كان يجول بنظراته في قاعة الانتظار وكأنه يبحث عن شخص ما ولا يجده. بعدها وللحظة، التقت نظراتهما فدفع نفسه بعيداً عن الحائط وسار نحوها.

سألها عندما وصل الى جانبها: « هل انت بانتظار احد ما؟ » كانت عيناه ذات لون بني داكن وملامح وجهه خشنة وبشرته سمراء.

ابتسمت له بحرارة. فلا بد انه الطبيب المشهور، لا بد انه كذلك، قالت: « في الحقيقة، انا انتظر الطبيب روس غرانت.»

من الواضح ان كلامها لم يكن ما يتوقعه لانه نظر اليها وكأنه يرى امرا لا يصدق.
قال وهو يرفع حاجبه متسائلاً: «انت لست خالة فيكي»

ضحكت وقالت باهتمام: «اعتقد انني كذلك»

عندما اقتربت منه اكتشفت انه اكبر مما اعتقدت. خلع قبعته فرأت ان شعره الاسود يغطي جبهته وانه بحاجة لترتيب. كان يبدو فظاً وقوياً، والنقيض الكامل لريشارد، والذي يبدو دائماً انيقاً ونظيفاً ببدلته الانيقة وحذائه الايطالي. مدت يدها وهي تقول: « ادعى ساشا لوكلرك»

سيطر على دهشته بسرعة وامسك يدها بيده السمراء الكبيرة وقال: « روس غرانت، طلبت مني فيكي ان اصطحبك اليها.»

« نعم، لقد ارسلت لي برقية، شكراً لك، انا اقدر ذلك بالطبع، لكن اتمنى ان لا اسبب لك اية مشكلة. لأنني استطيع تدبر نفسي.»

قال بصوت ساخر: «آه، لا مشكلة، واشك انك تستطيعين تدبير نفسك فبلدة اوبالابي في آخر العالم.»

قالت ببساطة: «حسناً، فأنا محظوظة اذاً. لقد اردت دائماً ان ارى كيف يبدو نهاية العالم.»

رفع حاجبه باستخفاف وسألها: «وكيف تعتقدين ستصلين الى هناك؟»

ابتسمت وقالت: «آه، لنري. اعتقد انني سأجد لنفسي فندقاً لامضاء الليلة ولأجد من سيسافر شمالاً بأي

وسيلة نقل عمومية غداً وسأرى الى اين استطيع الوصول.»

وضع قبعته على رأسه وقال بسخرية: «في قطار حديث مجهز بمكيفات هوائية.»

اغلقت فمها عندما سمعت صوته. لا، قالت بنفسها، بواسطة باص مليء بالناس وربما علي سطحه صناديق من الدجاج. انه يعتقد انها امرأة تتطلب كل رفاهية اميركا وطعامها وفي اي مكان كانت فيه من العالم. مع انها سترحب جداً بزجاجة عصير مثلجة الآن.

اخذت نفساً عميقاً وقالت بهدوء: «اسمع، لا فكرة لدي ما هي مشكلتك، لكن لدي احساس انك منزعج من ايصالي الى الشمال، لذا لما لا ننسى ذلك؟ وانا لا اريد ان اسبب الازعاج لك، وكما يمكنني ان اجد رفقة اكثر مودة في الباص.» وبدأت بالمسير مبتعدة عنه، تبعها الشاب الصغير وهو يحمل حقيبتها.

لم يبتعد كثيراً، امسك روس بذراعها بقوة مما جعلها تتوقف مكانها.

قال: «لا تتصرفي بغباء، هل تعلمين ماذا ستواجهين بسفرك الى الشمال؟»

« لن اتعرض لا للسرقة ولا للاعتداء، بالتأكيد. فأنا اعلم ان غانا اكثر البلدان ترحيباً بالغرباء. فقيرة اجل، لكن مضيافة وكريمة.»

لم يجب، لكنه امسك حقيبتها من يد الشاب وسار نحو باب الخروج. ركض الشاب وراءه غاضباً. تنهدت ساشا وتبعتهما الى حيث الشمس المشعة

والى المرآب حيث سيارة جيب مليئة بالغبار
وقديمة.

قال الشاب محدثاً روس: «انت تسيء معاملتي.»
ولمعت عيناه بكرامة مجروحة.

مدّ روس يده الى جيبه ليعطيه بعض المال، قال
الشاب بفرح: «شكراً لك، سيدي.» ومن الواضح انه لم
يعد مستاء. وغادر بسرعة بحثاً عن عمل آخر.

قالت شاسا وهي تواجه روس: «اسمع، عندما قلت
انني استطيع ان اصل بمفردي، عنيت ذلك. فأنا
لست بحاجة لاحسانك او حمايتك، ومن المؤكد لست
بحاجة لكبريائك وكأنك تعرف كل شيء، دكتور!»
نظر اليها ببرودة وقال:

«هل يمكننا ان لا نتشاجر؟ فلدي جيب، متجهاً
مباشرة الى المكان الذي تريدان الوصول اليه.
فكري بعقل واصعدي.» رمى حقيبته الى الخلف،
واستدار نحو ولدين كأننا من الواضح انهما يحرسان
الجيب.

قال: «اية مشكلة؟»

قال احدهما وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

«لا لصوص، سيدي.»

لمعت عينا الآخر وقال:

«نحن اختصاصيان.»

قال بصوت بالكاد يسمع:

«انتما ممثلان مضحكان.» وابتسم لهما. راقبته
شاسا كيف مد يده ثانية الى جيبه واعطى الولدين
بعض المال. وعيناه تلمعان بمرح واضح. تعابير

وجهه وهو يتكلم مع الولدين مختلفة تماماً.
قال وهو يسير نحو مقعد القيادة: «شكراً لكما.»
فتح الباب وتابع يحدثها وقد اختفت الابتسامة عن
وجهه: «ها نحن ننتقل.»

صعدت شاسا، على رغم رفضها لذلك، لكن رحلتها
الطويلة ابقتها ساهرة طوال الليل مع انها متعبة
جدا، وهي لا تريد ان تتشاجر مع هذا الرجل. كما
وانه ذاهب مباشرة الى اوبالابي، فليس من المنطق
ان ترفض الذهاب معه.

كان داخل الجيب كحمام البخار. فالمقعد ساخن
حتى شعرت وكأن جلدتها يحترق، فأمسكت بكنزة
ناعمة كانت تحملها في حقيبة يدها ووضعته
على المقعد وجلست ثانية. لقد كان الطقس بارداً في
نيويورك عندما غادرت منذ ثلاثة عشر ساعة.

ادار روس المحرك فانطلقت السيارة، قال من دون ان
ينظر اليها:

«يمكنك وضع هذا الصندوق فوق تلك الصناديق
خلفك، اذا كان يزعجك.»

ف فعلت كما اقترح، وسألته: «ماذا يوجد في كل هذه
الصناديق؟»

«معدات طبية. ولقد امضيت صباح هذا النهار
لاتمكن من اخراجهم من الجمارك. ولهذا اتيت الى
العاصمة. وكما قررت فيكي انه يمكنني ان احضرك
معي ايضاً.»

قالت بجدية:

«اية صدفة سيئة.»

رماها بنظرة قاسية وهو يقود الجيب خارج المرآب.
ولم يقل شيئاً.
سألته:

« هل تكره النساء بشكل عام ... او ان هناك شيئاً ما
بشأنى يجعلك هكذا؟ »

رأت الضيق على وجهه، لكنه بقي ينظر امامه
مباشرة. قال: « اسمعي، هذه ليست رحلة قصيرة
في الريف، اريدك ان تفهمي ذلك. وسيلزمنا يومان
للوصول الى اوبالابي وهذا جيب غير مكيف.
ونحن الآن في مارس، اكثر الاشهر حرارة في
السنة كلها. ستشعرين بالحرارة والعطش والارهاق
وستصبح ثيابك وسخة، وآخر ما احتاجه الآن
خالة عانس تتذمر بشكل دائم...» توقف عن الكلام
فضحكت بصوت عال.

قالت: « فهمت ما تقصد، ولا تشعر بالاحراج. فأنت
محق، انا خالة عانس. لقد اصبحت في الثلاثين من
عمري ولست متزوجة وخالة لستة اشخاص، وهذا
يعود لاختي، دنيس. وهي الام المثالية لستة اطفال،
وحيث ابنتها الكبرى قد تخلت عن كل شيء لتعيش
هنا في مجاهل افريقيا. »

زاد الضيق على وجهه وهو يقول: « والتي دعتك
للحضور لتنقذها. »

نظرت الى وجهه للحظة وقالت: « افهم من ذلك ان
الفكرة لا تعجبك! »

« انت محقة تماماً بذلك! »

« هل انت مغرم بها؟ »

قال: « لا، انها مغرمة جداً بمهندس زراعة الماني،
لذا ان كنت تفكرين انك ستعملين على اعادتها الى
اميركا فمن الافضل لك ان تنسي ذلك. »

قالت بتهذيب: « شكراً لك على هذه المعلومات. »
لقد عرف سبب مجيئها الى هنا، وهذا ما جعله
بمزاج سيء. حسناً، يمكنه ان يكون غاضباً
ومتوتراً قدر ما يشاء، لكن لن تسمح له ان
يفسد رحلتها. لقد اتت الى افريقيا بحثاً عن
مغامرة، بالرغم من كل شيء، ولديها عزيمة
كاملة لتتمتع باقامتها، خاصة الآن بعد ان
باعث مكان عملها، ولديها كل الوقت والمال
لتسافر وتعيش المغامرات، نعم، هذا هو جواب
سؤالها: « ما الذي سأفعله حتى آخر يوم في
حياتي؟ »

فبعد ان باعت عملها، اصبحت بدون عمل، وهذا
امر ممتع لفترة قصيرة، لكن لا يناسبها لمدى
العمر.

بالطبع، ليست بحاجة للذهاب الى افريقيا لتجد ما
الذي ستفعله بحياتها. فيمكنها ان تجد ذلك في
التيب، او نيوجرسي، او حتى في غرفتها، لكن طالما
لديها ابنة اخت تعيش في افريقيا، وحيث امها التي
كانت مريضة من القلق على ابنتها، هذا ما جعل
ساسا تقتنع بضرورة قدومها للبحث عن المغامرة
والمصير.

وما هي هنا الآن، في مجاهل افريقيا تبحث عن
مصيرها. تساءلت كيف يمكن ان تتعرف عليه.

نظرت خارج النافذة واخذت تراقب كل شيء بفرح. رأت على جانبي الطريق حشد كبير من الناس، النساء بثيابهن الطويلة الغضفاضة تحملن السلال على رؤوسهن واطفالهن على ظهورهن. رأت محل للفاكهة في ظل شجرة جوز الهند ورأت فاكهة الاناناس والبندورة والليمون.

شعرت بالاثارة. انها هنا في افريقيا، ترى كل هؤلاء الناس والالوان والمناظر. تذكرت ما شعرت به عندما كانت في مكسيكو من سنوات مضت، وهي تسافر في وسائل النقل المحلية في كل تلك القرى، تتمتع بمناظرها، وتزور اسواقها، وتتحدث مع اطفالها بلغتها الاسبانية الضعيفة.

سحب الهواء الحار والملهي بالغبار قبعتها فأمسكت بها ووضعتها في حضنها.

سألها: «من اين حصلت على هذه القبعة الشنيعة؟ ام هذه هي الموضة هذه الايام؟» نظرت اليه وقد اتسعت عيناها: «لقد حصلت عليها من محل (لاتري شيك بوتيك انتيك).»

قال بتجهم:

«ماذا؟»

قالت تشرح له:

«انه اسم فرنسي، ويعني الثياب القديمة المميزة. امر مؤسف انك لم تعجب بهذه القبعة. صنعت في الخمسينات، انها قطعة فنية، في الواقع.» نظر اليها وكأنها غبية. ابتسمت له وقالت

بنعومة: «لقد اعتقدت بما انني حمراء الشعر ولدي بشرة حساسة فلا بد لي من قبعة للسفر في هذا المكان.» ولما لا تكون كبيرة ولها ريش ووردة حمراء؟ لما كل شيء في الحياة يجب ان يكون جدياً وصارماً؟

لقد اشترت القبعة مع حقيبة كبيرة مليء بالثياب القديمة منذ الاربعينات والخمسينات في مزاد. ورأت ان القبعة فريدة من نوعها. لقد اعادت خياطتها وربتها ووضعتها على رأسها.

فمحل (لاتري شيك بوتيك انتيك) هو عملها حتى باعته لصديقتها كارولين منذ شهر مقابل مبلغ كبير من المال. وقد تخصص المحل بشراء الثياب القديمة المميزة وتصليحها وتنظيفها واعادة بيعها. اشياء جميلة ورائعة منذ عهد قديمة جعلت الفنانين والممثلين يفتنون بها. ففي محلها كان من الممكن ايجاد اشياء لا يمكن ان تجدها في اي مكان آخر، ثياب لا يعقل ان توجد في اي متجر او سوق. ولقد بدأت عملها في مكان صغير وبسيط وبعد مرور سنتين اصبح العمل كثيراً عليها حتى لم يعد بإمكانها البقاء دون مساعدة.

استخدمت عمالاً والمزيد المزيد منهم. كما وانها في السنة الماضية فتحت فرعاً جديداً في مدينة نيويورك. وابقاء العمل مزدهر في المحليين معاً كان تحدٍ لا يقاوم. لذا سافرت الى كندا كما قامت بالكثير من الرحلات الى بريطانيا لاجاد المزيد من الثياب في المزادات الدولية.

ابتسمت ساشا من ذكرياتها، وعادت لتحدق باهتمام بما تراه امامها. واجهتها شاحنة قديمة متجهة نحوهما وهي ترسل دخاناً كثيفاً. رسم علي واجهة النوافذ شعار ملون بالازرق والاحمر، قرأت عليه (الحياة حرب دائمة). ضحكت بصوت عال. يبدو حقيقياً بطريقة ما، وهي تجلس صامتة بجانب ذلك الغريب الغاضب.

سألها: «ما الذي يضحكك؟»

«ذلك الشعار على الشاحنة (الحياة حرب دائمة) اي رجل مسكين لديه هذه الفلسفة الحزينة واليائسة للحياة.»

«افهم من ذلك انك لا توافقينه الرأي.»

«وافق ان الحياة ليست دائماً سهلة. لكن لدي تعريف مختلف. احب ان انظر الى الحياة كتحدٍ، او تجربة او ... مغامرة.» ابتسمت وتابعت بحماس: «علينا ان نتمتع ونتذوق ونقدس الحياة.»

قال بقسوة ومن دون ان ينظر اليها: «انت محظوظة لتتمكني من الحصول على كل ما لديك.»

حاولت ان لا تهاجمه بعنف، قالت: «وانت لست كذلك؟ هل الحياة حرب بالنسبة اليك ايضاً؟»

ركضت معزاة من حقول الموز مباشرة الى الطريق واخذت تتجول بدون هدف. حاول روس ايقاف السيارة بصعوبة وتمكن من عدم اصابة الحيوان وباص صغير كان يمر بقربه وقد طلي باللون الازرق والابيض المشعان وكتب عليه (السعادة هي مصدر الحياة).

قالت وهي تنظر اليه نظرة تحدٍ: «هذا شعار يناسبني. هل انت شخص متشائم؟»

اجاب: «يمكنك ان تقولي واقعي.»
اومات برأسها وقالت:

«هذا ما يقوله كل المتشائمون.»

رماها بنظرة متوترة وبدا عليه انه يريد ان يقول شيئاً لكنه ضغط على فمه بقوة وبقي صامتا.

لم تمنع ساشا. فهي تتمتع اكثر بمشاهدة تلك المناظر الخلابية من النافذة.

بعد مرور ساعة من الصمت، سألته: «هل سنتوقف في مكان ما قريب؟»

«لا، فنحن قد تأخرنا بما فيه الكفاية. اريد ان اصل الى كوماسي قبل حلول الظلام. سنمضي الليلة هناك عند اصدقاء.»

قالت: «لا اريد ان اسبب اي اجراج لأحد.»

«لا داع للاجراج. فهما دائماً سعداء بالحصول على ضيوف، كما وانهما بانتظارنا.»

«هل هما من اميركا ام من غينيا؟»

«من اميركا. دانيلا ومارك بان بروك. هي فنانة وهو مهندس، لمجاري المياه. سنصل الى منزلهما خلال ساعتين.»

عاد للصمت ثانية، الوغد، اخذت تفكر، فما الذي فعلته له؟ حتى انها لم تسأل فيكي ان ترسل لها احداً ليصطحبها فهي قادرة على الوصول بمفردها في بلد يتحدث لغتها. فهي انسانة مبدعة ولقد اثبتت ذلك في تجولها في الريف المكسيكي لمدة شهرين.

سألته: «كيف حال فيكي؟»

نظر اليها نظرة غامضة وقال: «انها تعلم التمريض بقسوة شديدة، وهي متفانية بعملها لكنها تحب تلاميذها وزملائها.»

«ما كنت لأتوقع اقل من ذلك.»

سألها بعد فترة: «وما هي مشكلة امها؟»

«ما من مشكلة، لماذا؟»

«ولماذا تريد ان تعيدها الى بلدها؟»

رفعت ساشاً كتفيها وقالت: «انها قلقة، وهي أم عاطفية جداً وتحب ان يبقى اطفالها بقربها. ولقد كانت حزينة عندما غادرت فيكي. كما وان لديها خمس صبيان وفيكي هي ابنتها الوحيدة.»

«لكن فيكي في الثالثة والعشرين!»

قالت ببساطة: «ما زالت طفلة في نظر امها.» لن تفكر دنيس مطلقاً ان اولادها يكبرون «انت لا تعرف اختي.»

«ولست راغباً في التعرف اليها، ايضاً.»

شعرت بغضب شديد، فهي تشعر دائماً بالرغبة في الدفاع عن من تحب، قالت: «بكل الاحوال، لا علاقة لك بوالدة فيكي. وبامكان فيكي ان تفعل ما تريده. وهذا ايضاً لا شأن لك به.»

قال ببرودة قاتلة: «آه، يعنيني، ولن اسمح لك ان تأخذي فيكي معك حتى تقرر هي بنفسها ان ارادت الرحيل.»

شعرت بغضب وتوتر شديدين قالت: «انت لن تسمح لي، حقاً؟»

قال من دون ان ينظر اليها: «لا، لن اسمح.» نظر اليها، نظرة سريعة حادة وبعينين نافذتين: «لن تأخذي فيكي معك الى اميركا. نقطة وانتهى الكلام.» زاد من غضبها لهجته المسيطرة فقالت: «ومن يقول ذلك؟»

قال بحزم:

«انا. اصبحت فيكي راشدة وتستطيع ان تحيا كما تشاء، وانت لن تضغطي عليها مفهوم؟»

قالت ببساطة

: «لقد فهمت تماماً.» هذا رجل يفعل ما يريد وقد قرر ان لا احد يستطيع ان يقف بوجهه. وقد قدر لها ان تمضي يومين برفقته، جالسة الى جانبه في الجيب، مع عدم رغبته بذلك. وهذا أمر سيء بما فيه الكفاية.

قال: «جيد.»

قالت تحدثه: «اشعر بالفضول، قل لي من انت لتقول لي ماذا استطيع او لا استطيع ان افعله؟»

«اقول لك كل ما ارغب بقوله. وان قمت بأي تصرف خاطيء سأعيدك الى الطائرة بسرعة لا تتحملينها.» حدقت به وانفجرت ضاحكة ... فلقد مضى وقت طويل لم تسمع به احداً يخاطبها هكذا. بدا لها الامر خيالي، او كأنها تقرأ كتاباً او تشاهد فيلماً سينمائياً. «انت مستبد بدائي، متوحش. لقد اخفتني، دكتور.»

«لقد حذرتك.»

قالت بلطف:

«بالطبع، ان اردت ذلك.»

حذق بها ببرودة وقال: «تعتقدين ان ذلك مسلياً، اليس كذلك؟ حسناً، أوكد لك انه ليس كذلك.»

علمت انه من الافضل لها ألا تعادي الطبيب اكثر من ذلك. فقد يجد الامر ممتعاً ان يتركها على جانب الطريق ويرحل، ومهما كانت تفضل ان تراه رفضها لرفقته، فليس من الحكمة ان تجد نفسها بمفردها في ادغال افريقيا.

حذقت من النافذة في التلال الخضراء ورأت ان الادغال تزحف لتصل الى الطريق.

يا له من متعجرف، وتساءلت عن كيفية تصرفه مع مرضاه، وشعرت بالاسف عليهم وبالاسف على زوجته ايضا ان كان متزوجاً.

نظرت الى يديه لتبحث عن خاتم.

رأى انها تنظر اليه فالتفت اليها والتقت نظراتهما. قالت بشجاعة: «كنت اري ان كنت تضع خاتماً، واتساءل اذا كان هناك امرأة تعيسة الحظ قد تزوجتك. انت متزوج؟»

عاد لينظر الى الطريق ويقول بغضب: «لا.»

كادت ان تقول، لست متفاجئة، لكنها لم تفعل.

سألها بعد فترة: «كم من الوقت ستمضين هنا؟»

رفعت كتفها بخفة وقالت: «سأحدد ذلك لاحقاً.»

فهي لا ترغب في اخباره عما تخطط له، من القيام بجولة في كينيا وان تعود الى بلادها عبر قارة اوروبا.

«اليس لديك عمل تعودين اليه؟ الا تعملين في متجر للثياب او شيء من هذا؟»

متجر للثياب او شيء من هذا. عضت على شفتها، من اين حصل على معلوماته هذه؟

قالت ببساطة: «لقد استقلت، وانا الآن اشعر بسعادة كبرى لأنني لا اعمل.»

«سعيدة؟ ألا يزعجك ذلك؟»

ابتسمت باشراق: «لا، على الاطلاق.» تابعت بهدوء: «احتاج الى التغيير. فلم اعد اشعر بالمتعة في عملي. كل المرح والسعادة بالعمل انتهى.»

قال وكأنه يتكلم مع معتوهة: «التسلية والمرح هما المهمان لك؟»

«بالطبع، فمن دون المرح، اين يمكن ان نكون؟ فليس هناك أسوأ من الملل والركود. فهذا يقتل الفكر ناهيك عن الجسد.»

«هكذا اذا.»

قالت وهي تبتسم باشراق:

«لذلك فمن الافضل ان تكون حياتك سعيدة. الا تشعر بالمرح وانت تعمل؟»

قال: «انني طبيب واعمل مع المرضى والفقراء.»

«وهل هذا يعني ان تكون جاداً وان لا تشعر بالمتعة والمرح؟ هذا مريع. ربما عليك ان تفكر بتغيير عملك، عمل يجعلك اكثر مرحاً.» وسكتت، محاولة ان لا تضحك، لكنها لم تستطع، فهذا ما يحتاجه.

نظر اليها وكأنها فقدت عقلها.

تابعت: «تفعل الناس ذلك دائماً، اقصد تغيير اعمالهم. وانت مازلت شاباً، كما وان العالم مليء بالفرص الجديدة.»

سألها: «ما الذي اكلته في الطائرة؟» لمحت ابتسامة صغيرة على وجهه ولمعت عيناه.

ابتسمت له وقالت: «الطعام المعتاد على صواني بلاستيكية.»

بدا وللحظة ان الجو بينهما قد اصبح اكثر ليونة. لقد احبت ملامح المرح في عينيه الغامضتين ووسامته الواضحة. لكنها ليست متأثرة بهذا الرجل، وبتصرفه نحوها. وهي لا تريد منه شيئاً.

قالت: «اذا، انت لا تفكر بتغيير عملك. قل لي، لما انت هنا؟ ولما تعمل في افريقيا؟»

رفع كتفيه وقال: «انه مجرد تغيير عن غينيا الجديدة.»

نظرت اليه باحترام وقالت: «واو! وما الذي كنت تفعله هناك؟»

« عملي ذاته كموظف لـ م. ص. ع.»

« وما هي م. ص. ع؟ »

« منظمة الصحة العالمية. انها منظمة خاصة تعمل على انشاء مستشفيات وعيادات في العالم الثالث.

ولقد بدأت كفكرة من رجل عجوز ثري جداً، ولديه المال والوقت لجعلها حقيقة.»

«يبدو وكأنه انسان جدير بالاحترام.»

« آه، انه كذلك. لقد اصبح في التاسعة والسبعين من عمره وكلمة تقاعد ليست في حسابه. يقود سيارة بي

ام قديمة ويرتدي بدلة يزيد عمرها عن ثلاثين سنة، لكن جيوبه دائماً مليئة بالمال. وهذا الرجل غريب

الاطوار لكنه يعرف ما الذي يريد.»

قالت: «لا بد انه رجل رائع، ولما عملت في منظمة الصحة العالمية؟»

ابتسم وقال: «احب ذلك الرجل، واحب التحدي.»

وصلا الى كوماسي، بلدة كبيرة مليئة بالناس وعلى جوانب الطرقات انتشرت المحلات الصغيرة

والكبيرة. كانت الشمس تغيب والليل يرخي سدوله بسرعة. بدأت تشعر بالجوع، فهي لم تأكل شيئاً منذ

ان غادرت الطائرة، لكنها لن تتحدث عن ذلك. فلا بد ان يشعر هذا الرجل بالجوع عاجلاً ام آجلاً، لقد

قال عنها «الخالة العانس المتذمرة» عضت على شفتها ثانية، كي لا تضحك. تساءلت ما الذي سيقوله

ريتشارد بخصوص ذلك.

فلدى ريتشارد ما يقوله، وعن كل شيء. وعندما قررت ان تنهي علاقتهما الشهر الماضي، قال لها

الكثير من الكلام، ومنه ما هو سيء فعلاً. فلقد جرحت كبرياءه فعمل على تحليل شخصيتها وتصرفاتها

ونعتها بصفات سلبية كثيرة. فهي غير مسؤولة، ولا تتمتع بالحساسية والموهبة كذلك ضعيفة العقل.

فبعد كل شيء، كيف يمكن لامرأة ان ترفض رجلاً مثله؟ شاب طموح يتسلق سلال المجد بسرعة قصوى.

كما وانه وسيم، موهوب وجدي في الحياة يملك شقة ويقود سيارة فراري...

مع ذلك لم تجد اي صعوبة في التخلي عنه.

لقد تعبت من تقديره لنفسه وتفاخره الوقح. كيف يمكن ان تهتم لرجل مثله؟ فهي تشعر بالخوف من

مجرد التفكير به.

فكرة الزواج منه ترعبها، وقد جعلتها تفكر بالرحيل الى الصحارى الخالية والادغال الخطرة. فهي تريد الحماس في حياتها والمغامرات والتحدي. رحلة الى افريقيا ومصير جديد لها.

لقد باعت عملها، مهما كان يثير حماسها في السنوات الاخيرة، فلقد اصبح العمل فيه اكثر تعقيدا والتزاما. لم تعد تجد المتعة والتسلية التي كانت تشعر بهما فلم يعد هناك الا العمل والعمل ومزيدا من العمل. لم تعد لديها رغبة في زج نفسها في روتين لا يتغير. فلا بد ان هناك اكثر من العمل في الحياة، واتباع التقاليد والعادات بأن تكون فتاة جديدة. من الواضح، ان هذا ما فكرت به فيكي، ولهذا تعيش حياتها كما تفكر بها. لدى فيكي شجاعة قوية، وهذا ما تحبه ساشا في الانسان.

غادرا كوماسي ثم مرا بعد ذلك بقرية صغيرة حيث مصابيح الكاز تضيء محلاتها وبيوتها. قال: «سنصل قبل مرور ساعة.» وما ان انتهى من كلامه حتى سمع صوت ما في القسم الامامي من الجيب.

«ما الذي ...؟» لم ينه جملته، فلقد خفت سرعة الجيب فأدار المقود ليبعده عن الطريق قبل ان يتوقف الجيب بالكامل.

وهذا ما حدث بالفعل بعد لحظات قليلة. علمت ساشا ان الوقت غير مناسب لتعلق عما حدث والذي يبدو واضحا، لذا بقيت صامتة. شتم روس وهو يحاول ان يدير المحرك ثانية، لكن بدون جدوى.

فتح الباب وخرج بسرعة، ومن مكان ما حمل مصباح وفتح غطاء السيارة. لم يأخذ اكثر من الوقت، اقفل الغطاء بقوة وعاد الى مقعده. كان وجهه هادئا فانتظرت لتسمع ما الذي سيقوله. وهذا ما فعله بعد مرور دقيقة كاملة. قال: «اسدي الي خدمة ولا تصابي بالهستيريا. لقد حجزنا هنا لهذه الليلة.»

الفصل الثاني

اخذت ساشا نفساً عميقاً وقالت: «هنا! تقصد في الجيب؟»

«صحيح. ولا داع للقول، انه لا يوجد فنادق او غرف للراحة في اي مكان هنا، وحتى لو يوجد فأنا لن اترك هذه المعدات هنا بمفردها.»

كانت تشعر بتعب شديد. وهي بحاجة ماسة كي تستحم وتنام في اي مكان. كما وانها بحاجة لطعام، وهذا طلب طبيعي بعد سفرها فوق نصف مساحة الكرة الارضية.

ومهما فكرت، فلن تحصل على ما تريده. تبا له! ربما ليست غلطته ان يتوقف الجيب، لكن كبريائه وغروره قد ازعجها. لقد اعتبر انها ستكون اكثر اماناً معه. وان السيد المتفاخر سيهتم بها لانها لا تستطيع السفر بمفردها. ولو انها سافرت وحيدة، لكانت الآن في فندق. كان عليها ان تثق اكثر بحدسها، فالاعتماد على الآخرين ليس بالامر الجيد.

عادت تسمع كلماته في اذنيها: «الخالة العانس المتذمرة» وهذا ما زاد من ضيقها.

قالت وهي تجلس براحة اكثر: «حسناً، سنبقى هنا.» كانت قوية. وهو لا يعلم كم هي قوية.

لم يظهر على وجهه اي تعابير، لكن عينيه لمعتا بدهشة، قال: «لا بد انك متعبة بعد تلك الرحلة.»

وكأنه علم الآن فقط انها امضت الليل وهي جالسة

على كرسي في طائرة تقطع المحيط الاطلسي.
«نعم، بالطبع.»

شعرت وكأنه ينتظر شيئاً ما، ما هو؟

قال اخيراً: «اذا، قل لي ما تريد؟»

نظرت مباشرة الى عينيه وقالت: «اقول ماذا؟»

«انه ما كان عليك القدوم معي، وان كل هذا بسبب خطأ قمت به.»

حسناً، هذا ما يطلبه، لفت ذراعيها على صدرها وقالت: «حسناً، طالما تطلب ذلك. كان علي ان اتبع

حدسي. فاحساسي دائماً على حق.»

«اي حدس؟»

«حدسي، بشأنك. انت لم ترد اصطحابي وما زلت كذلك. كان علي البقاء في اكرالاجد الوسيلة بنفسني

كي انتقل الى الشمال. ولكنك الآن في غرفة فندق،

بسرير وحمّام وكذلك مكيفة. وعضاً عن ذلك، ها انا

هنا الآن في وسط المجهول، محجوزة في جيب طوال

الليل مع رجل فريد من نوعه.»

هز رأسه بتفهم وقال: «حسناً، الآن وبعد ان قلت

كل ما تفكرين به، لننتقل الى خطوة أخرى، هل انت

جانعة؟»

تجهم وجهها وهي تفكر بسؤاله: «هل انا جانعة؟

والآن بعد ان ذكرت ذلك، نعم بالطبع.» فهي لم تأكل

منذ ان غادرت الطائرة منذ ساعات، ولم تتناول

الا الماء، وهي ليست جانعة فقط، بل انها تتضور

جوعاً.

فتح باب السيارة وقفز الى الخارج قائلاً: «سأذهب

لأجد ما نأكله في القرية التي مررنا بها للتو، ولا حضر من سيتمكن من مساعدتنا في صباح الغد. وانت ستبقين هنا مع المعدات.»

كانت تتمتع بمزايا عديدة، لكن تقبل الاوامر من الغير امر صعب عليها.

وفي هذه اللحظة، لم يكن لديها اي خيار، لكنها لا تعتقد انها ترغب في تركها بمفردها في وسط افريقيا بجانب الطريق في ذلك الظلام الدامس. من يعلم ماذا سيهاجمها في هذا المكان؟

شدت على اسنانها، لتخفف من قلقها. لا، ليست بخائفة، ومهما يكن لن تعترف بذلك. من المؤكد انه لن يتركها هنا لو ظن ان هناك خطراً ما ستواجهه. اليس كذلك؟

« تريدان ان اقوم بدور الحارس لمعدّاتك الغالية؟ »

« اذا رغبت بقول ذلك. »

قالت: « عليك ان تشكرني لوجودي هنا، والا لن تتمكن من ان تأكل انت ايضا. »

اغلق الباب بقوة وهو يقول:

« لن تكون هذه المرة الاولى، ولا تقلقي، فأنت بأمان هنا. »

« لن اتعرض لأي أذى؟ »

« ربما قد تتعرضين للسلب، وربما ستجدين من يرغب بالمساعدة ان مرّ احد من هنا. فقط قولي لهم ان كل شيء بخير وتحت السيطرة. »

ضحكت بعصبية وقالت: « بالطبع. »

قال بجد: « تذكري، اتوقع منك ان تحمي معدّاتي

بكل ما تستطيعين من قوة، لكن لا اتوقع ان تموتي لأجله. »

« شكراً لك على كرمك. »

استدار وسار مبتعداً. وكان الظلام قد لف المكان بحيث انه اختفى بعد لحظات قليلة. مع ان الساعة لم تكن قد تجاوزت الساعة السابعة.

تنفست بعمق، ليس هناك ما تخشاه، فهذه ليست مدينة نيويورك.

لا، هذا الليل الاكثر ظلاماً الذي رأتَه في حياتها، وها هي تجلس في وسط ادغال افريقيا، وحيدة بجيب لا يتحرك. واصوات الحشرات والحيوانات تملأ المكان. اي نوع من الحياة تدور حول هذه الطريق؟ ورأت نوعاً من الحيوانات الكبيرة وراء الاشجار تبحث عن طعام لها، وهي تنظر نحو خالة متدمرة لتشاركها عشاءها.

وامرت نفسها بأن تتوقف عن افكارها تلك التي تشبعها خيالاً لتصاب بالخوف. فهي تبحث عن المغامرات، وهذا ما تحصل عليه الان. مغامرة حقيقية ستجعل اصدقاءها يرتعدون خوفاً عندما تخبرهم بها.

شعرت بألم الجوع في معدتها. وتساءلت اي طعام سيحضره روس. لكن، هذا لا يهم، فهي ستأكل اي شيء يحضره.

ابعدت شعرها عن وجهها وشعرت به رطباً ومليئاً بالغبار. لن تستحم اليوم، لكن يمكنها ان تبديل ثيابها وترتدي ثياباً نظيفة وبسيطة تستطيع النوم بها.

استدارت وجلست على ركبتها، وعلى ضوء المصباح اليدوي، تمكنت من الإمساك بحقيبتها وأخذت منها بنطال من القطن وقميص قصير الأكمام. خرجت من الجيب وبسرعة في ذلك الظلام المخيف ارتدت تلك الثياب المريحة.

وبينما كانت تعيد تنورتها وقميصها إلى الحقيبة، لمست يدها كيس الحلوى الذي أحضرته لفيكي. الحلوى المحشوة بالتين، وهذا طعامها المفضل. فإذا لم يتمكن روس من احضار أي طعام، فبإمكانهما تناول الحلوى، وهذه الحلوى فيها طاقة غذائية كافية لهما.

جلست براحة على مقعدها وأخذت تمشط شعرها لتجعله في ظفيرة طويلة. سمعت أصوات الحشرات حول الجيب فتساءلت إن كان روس يحمل معه مضاد للحشرات في شاحنته. أخذت تبحث، لكنها لم تجد شيئاً. لن تشعر بالرضى وهي تمضي الليل تحت لسعات الحشرات، كما وإن الحر الشديد يمنعها من اغلاق النوافذ.

وجدت الكتاب الذي كانت تقرأه في الطائرة فعاودت القراءة على ضوء المصباح. تمننت فقط إن يكون لدى روس بطاريات إضافية، فهي ستصاب بالجنون إن جلست ولم تجد ما تفعله إلا التحديق في الظلام الداكن وسماع أصوات مختلفة بجانب الطريق. مرت سيارة واحدة منذ نصف ساعة، ولم تتوقف. فمن الواضح أنها ليست بطريق عام رئيسية.

مرت خمس عشرة دقيقة أخرى، وكأنها ساعتان، فهي لا تحب الانتظار، بل على العكس هي تحب العمل، العمل بأي شيء وبتنظيم. سئمت من القراءة، فالكتاب ممل وتمنت إن يعود روس.

وهذا ما فعله بعد مرور عشر دقائق أخرى، يرافقه رجل ابتسم لها وقال إنه أسف لما حل بهما، لكن مع بزوغ الفجر سينطلق ابنه إلى كوماسي، ليشتري حزاماً للمروحة وسيعود لتصليح الجيب. أما الآن، فهو يتمنى إن يعجبها الطعام، لأن زوجته حضرته وهي مشهورة في كل الجوار بطعامها الشهى.

قالت وهي تبتسم:

«شكراً لك..» قال لها إنه يدعى جوزف. وبدأ عليه أنه لا يرغب في المغادرة.

جلس روس على مقعد القيادة وهو يحمل بيديه وعاء مطلقاً يشبه وعاءها وكيساً من النايلون يحتوي على أربع زجاجات من عصير الليمون، وعدة موزات وفول سوداني بقشرته.

غادر جوزف وقال إنه سيعود غداً عند الصباح مع ابنه كوفي والذي يعمل ميكانيكياً.

وجهت ساشا المصباح اليدوي إلى أعلى وهكذا توسع النور في الجيب، ورفعت غطاء الوعاء. رأت كمية كبيرة من الطعام الأبيض اللون والذي يبدو كخبز في وسط الوعاء ومزيج من الصلصة حوله.

سألت: «ما هذا؟»

« الطعام الابيض فوفو؟ »

« حقاً، وما هو فوفو. »

« مزيج من البطاطا الحلوة ولسان الحمل تطحن حتى تصبح كالخبز. انها ثقيلة جداً على المعدة، تجعلك تشعرين وكأنك ابتعلت كمية من الاسمنت. اما الصلصة فهي مصنوعة من زبدة الفول السوداني، البصل والبندورة واللحم مع الفليفلة الحمراء. اتمنى انك تحبين الطعام الحار، والا لن تجدي ما تأكلينه. »

« نظرت الى الصلصة وقالت: «اي نوع من اللحم؟»

« لا تسألني. » ومد يده الى كرة من الفوفو واخذ قسماً منها.

لم تجد الامر مريحاً: « آه، فهمت، رؤوس كلاب، فئران. »

« اخرسي، خالتي وتناولتي طعامك. » وضع على الفوفو بعض الصلصة ووضعها في فمه.

« قالت منزعة: « لا تدعوني خالتي. »

« بالطبع، والآن تناولتي طعامك، هيا. »

اخذت تراقبه وهي تشعر بالتردد، لكنه يبدو جائعاً جداً، يأكل من دون اي انزعاج.

« هل يفترض ان تأكل بيديك؟ »

« نعم، فهذه هي العادات المتبعة هنا، لا تخافي، هذا دجاج. »

وجدت محرمة في حقيبة يدها فمسحت يديها. نظر اليها، ولم يتكلم. ثم امسكت بقطعة من الفوفو وفعلت مثله، وضعتها في وسط الصلصة واكلتها.

كانت تحب الطعام الحار. ولكن هذا الطعام حار

وحار جداً. انهمرت الدموع من عينيها واخذت تسعل وكأن النار تنتشر في فمها وحلقها.

ابتسم، امسك بزجاجة من عصير الليمون وفتحها قائلاً: « اشربي هذه، اردت ان احضر شيئاً افضل، لكن لم يكن لديهم غير هذه. »

« آه، اخرس » اخذت الزجاجة وشربت منها. لم تكن باردة لكن لها طعم عادي. وضعت الزجاجة ارضا وامسكت بمحرمة اخرى ومسحت عينيها. مما لا شك فيه ان كحلة عينيها قد سالت على وجهها، لكن ليس الوقت مناسباً لتهتم بمظهرها. المهم الآن ان نحافظ على هدوئها، وان تبرهن للطبيب المتفاخر انها بحاجة لأكثر من طعام حار ونوم في الادغال لكي تنهار.

بعد ان اصبحت افضل، تناولت قزمة اخرى، وهي تحاول ان تعتاد على نكهتها الحارة. تناولت عدة فضات فقط، مصممة ان لا تعطي روس اي سبب كي ينتقدها، كما وانها امرأة مغامرة، وهي ترغب في تجربة اي شيء. وهذا كله جزء من رحلتها نحو مصيرها.

انهى روس طعامه في وقت قصير جداً، بعدها مسح يديه وفمه بمحرمة ورقية. قال: « والآن كيف هو شعورك نحو اول وجبة طعام افريقية؟ »

« لها مذاق حار جداً، لكن هذا كل ما استطيع ان اكله. »

« تفاجأت انك اكلت كل هذا المقدار. »

قالت ببرودة: « لقد كنت جائعة. »

« والآن حان وقت الحلوى.. امسك بموزة وقدمها لها ثم امسك بواحدة له وتابع: « كل هذه الفيتامينات ستكفيها طوال الليل.. »
سألته ما ان انتهت من الطعام:

« هل لديك دواء للحشرات. لقد احضرت معي واحداً لكنه في اسفل الحقيبة ولم استطع ان اجده.. »
« لدي كل ما نحتاجه في هذه الصناديق. لننظم نفسنا، اقترح عليك ان تجدي مكاناً للنوم على تلك الصناديق في الخلف وانا سأتدبر امري هنا. اعلم ان الوقت مازال باكراً، لكن لعدم وجود ملاهي في الجوار اقترح ان ننام، الا اذا كنت تجيدين لعب الورق؟ »

قالت:

« ربما مرة اخرى، دكتور.. »

نظر اليها مشككاً وقال: « لا تقولي انك تلعبين الورق.. »

« وماهرة جداً بذلك.. »

« حقاً، وكيف ذلك؟ »

« لا يمكنك ان تعلم ابداً ماذا يمكن ان تفعل خالة عانس وعجوز، اليس كذلك؟ مفاجأة جديدة.. »

سألها فجأة بعد صمت طويل: « لماذا لست متزوجة؟ »

صفعت بيدها حشرة وقالت: « حظيت باكثر من فرصة للزواج، لكنني قررت انها قد تكون غلطة مميتة. فأنا لست بزوجة جيدة.. »

رفع حاجبه وقال: « حقاً؟ ولماذا لست زوجة جيدة؟ »

« لدي مواهب كثيرة لاجعل الرجل يانس بالمطلق وبالكمال.. » على الاقل هذا ما قاله ريتشارد. مع انها لا توافقه الرأي.

رفع رأسه ونظر اليها:

« ولما كل هذا؟ »

« لا احب ان يسيطر علي احد او ان يعتبر انني ملكه. كما وانني لست بسيدة منزل ولا اجيد الطهي كما لا احب ان اصبح أما. فأنا مستقلة جداً، ذكية، كذلك عنيدة جداً. هل اتابع؟ »

هز رأسه ببطء، مع انه بدا راضياً وسعيداً وهو يقول:

« لا، فهتمت ما تقصدين.. »

نظرت مباشرة الى عينيه، تتحداه. مما لا شك فيه انه فهم ما تقصد. لكن ماذا ستعني له هذه المعلومات، هذا سؤال آخر.

تحركت حشرة اخرى قربها فلوحت بيدها لتبعدها عن وجهها.

قال:

« حسناً، لنعد الى المهم، فالحشرات تزحف نحونا، هل تلقحت ضد الملاريا؟ »

« نعم، وضد الكوليرا ايضاً.. »

« لا داع لذلك، فلا وجود للكوليرا هنا كما وانها لا تعطيك مناعة الا لمدة ستة اشهر.. »

« اذا لقد خسرت لقاح، لا يمكن ان يربح الانسان كل شيء.. » كانت تحاول النوم وهي جالسة لذلك اخذت بعض الاشياء من حقيبتها ووضعتها تحت رأسها

كوسادة. امسكت بعلبة من حلوى التين ورمتها الى المقعد الامامي.»

قالت: «هذه الحلوى للفظور صباحاً، لقد احضرتها الي فيكي، لكن في هذه الظروف ...»

سأل بحدة: «ماذا فعلت؟» فنظرت اليه متفاجئة. «احضرت بعض الحلوى لـ فيكي. فهي تحب اصابع التين.»

قال بصوت هادىء:

«فهمت، هل لديك بعض القهوة في هذه الحقيبة؟» اجابت بقسوة:

«لا. هل لديك ماء لأغسل وجهي واسناني.»

كان لديه وعاء للماء في الجيب يبقى جاهزاً عند السفر.

الاستعداد للنوم عمل بحد ذاته، لكنها لم تتمكن الا ان تتسلى بهذا الوضع.

فهي تعلم، ان المرح هو عنصر فعال في الحياة وهي سعيدة انها تتمكن من تطبيق ذلك. كانت تشعر بتعب شديد، وبعدم الراحة وهي بحاجة لأي مساعدة قد تقدم لها. لكنها كانت متأكدة من شيء واحد، انها لن تتذمر مطلقاً.

وفي الوقت الذي استلقت. فيه على الصناديق بعد ان وضعت مضاداً للحشرات قوي الرائحة، شعرت وكأنها بطلة فيلم كوميدي.

لم يكن لديها الوقت لتفكر بذلك، سيطر التعب عليها ولم تشعر الا وانها تغرق في سبات عميق ما ان اغمضت عينيها.

استيقظت على صوت العصافير، وكأنها اغنية رائعة، فاستلقت وهي تبتسم لنفسها، وما ان مرّت لحظات قليلة حتى تحرك روس ايضاً.

قال بصوت عالٍ: «هل استيقظت، خالتي؟ حان وقت النهوض.»

لم يهزه منها هكذا؟ يجب ان لا تسمح له. رفعت رأسها ونظرت اليه. رأت شعره يغطي جبهته وبدأت تظهر لحيته. كان يبدو وسيماً بشكل كبير وشعرت للمرة الثانية بالانزعاج. عملها هذا مجرد غباء، فهذا الرجل لا يجلب سوى الالم.

قالت بصوت عالٍ: «لقد استيقظت.»

تثاءب ومرر يديه في شعره وهو يقول: «يمكنك ان تغتسلي اولاً.»

قالت بنعومة: «شكراً لك.» كان الباب الخلفي مغلق بسبب الصناديق لذلك عادت الى الامام وبذلك ضربت رأسها وهي تحاول القفز.

اجفلت وحفت رأسها، نظر اليها وضحك.

قالت غاضبة: «الامر مضحك، اليس كذلك؟»

قال وهو يبتسم: «جداً.»

«هل تضحك من مرضاك ايضاً، عندما يصابون بالالم؟»

ظهر الحزن على وجهه وقال:

«في الحقيقة لا، فأنا اقبلهم.» وضع ذراعه حول كتفيها، وشدها نحوه، فابتعدت عنه وهي تقول: «

ماذا تعتقد انك تفعل؟»

«اعتقد انك تريد ان اقبلك.»

« هذا في احلامك، دكتور.» فتحت الباب وقفزت على الارض، وهي تسمع ضحكته.
ابتسمت ثم ضحكت بصوت مسموع رغماً عنها، يريد ان يقبلها بتأكيد.
لكنها لم تفكر بذلك ثانية، عليها ان تنسأه وتنظر حولها، لتحيي الصباح.
بدا العالم حولها اكثر اماناً مما كان عليه في ظلام الليل. وفي الحقيقة بدا اكثر سلاماً، فكل ما يحيط بها هي الاشجار والاعشاب مع اشعة خفيفة للشمس وجوقة كاملة من العصافير.
كانت قد اغتسلت من المياه التي معه، لكن لا بأس فيديها ووجهها اصبحا اكثر نظافة. نظرت الى نفسها في المرآة الخارجية للجيب لأول مرة.
كانت تبدو مخيفة، مع دوائر سوداء من المسكارا سالت على عينيها. لا عجب ان روس ضحك عندما رآها عند الصباح، ولا علاقة ابدا لضرب رأسها. فهي تبدو كالكابوس. عادت الى مقعدها، وقلبت المرآة باتجاهها، امسكت بحقيبة المكياج وحاولت ان تنظف المسكارا. كان روس لا يزال في الخارج يقوم ببعض التمارين الرياضية، ليتمكن من التخلص من آثار النوم على المقعد في الليل. راقبت انعكاس صورته على المرآة وشعرت وكأنه رياضي قوي.
كان يبدو متوتراً وكأنه قد فقد صبره. ادارت المرآة قليلاً لتبعد انعكاس صورته.
كانت تضع بعض المكياج عندما صعد الى الجيب بقربها. ارتدى قميصاً قطنياً وجلس يراقبها بمرح:

قالت: « توقف عن التحديق بي، دكتور.»
قال وهو يبتسم: « هل النظر اليك يجعلك تضطربين؟ »
اخفضت فرشاة المسكارا ونظرت اليه بتحد وقالت: « اليس لديك عادات جيدة؟ »
تجاهل ما قالته وقال: « لما تزعجين نفسك بهذه الامور؟ فأنت ستبدين مخيفة في اقل من ساعة.»
« شكرا لك. انت رفيق رائع. وهذا ما احتاج اليه حقاً، اعتقد اننا سنزور اصدقاءك؟ وهم ليسوا بعيدين عن هنا، اليس كذلك؟ »
« نعم، لكن لا تعتمد على ذلك ... فلن تطول زيارتنا، سنستحم ونأكل شيئاً ما وبعدها سنغادر على الفور. فلا استطيع ان اخسر يوماً آخر.» امسك بيده الكيس الذي احضره البارحة وتابع: « لنتناول الفطور.»
تناولا الموز والفول السوداني وكيس كامل من اصابع التين، كما انهما شربا زجاجتين من عصير الليمون.
قال وهو يمسك بكيس الحلوى: « هل هناك المزيد من هذه؟ » كان قد أكل معظمه.
حدقت به قائلة:
« لقد اكلت معظم هذا الكيس، اما الآخر فهو لفيكي. لا يمكنك ان تأكله.»
قال ببساطة:
« لن تمنع ان فعلت. فهي لا تأكل من هذه الحلوى هذه الايام، اعطني اياه، خالتي.»
« لا! ان كانت لا تحصل على هذه الحلوى هنا، فانها ستفرح بهذا كثيراً. الا ترى انك جشع جداً؟ »

« فقط اشعر بالجوع. كما وانني احب حلوى اصابع التين.»

« حسناً، لاحظت ذلك. فاحصل بنفسك على الحلوى التي تحبها.»

هز كتفيه واستلقى على المقعد وهو يقول: «آه، ادفع ما املك ثمناً لفنجان من القهوة.»

نظر الى ساعته وتابع: « اتمنى ان لا يأخذوا طوال النهار كي يحضروا حزام المروحة. كان من الافضل لو فعلت ذلك بنفسى.»

لم يستغرق الامر طوال النهار، لكن مرت ساعتان قبل ان تصل شاحنة جوزف القديمة وهي تثير امامها عاصفة من الغبار. امضت ساشا الوقت وهي تقرأ بكتابها محاولة ان تتجنب روس. امضى فترة من الوقت وهو يقرأ مجلة طبية، بعدها اخذ يزرع الطريق ذهاباً واياباً وهو يزفر من الضيق.

كانت الشمس ترسل اشعتها الحارة ومع ان الجيب كان في الظل فقد شعرت ساشا بأن ثيابها قد التصقت بها. وشعرت بالراحة عندما وصلت شاحنة الانقاذ.

قفز جوزف مع ابنه كوفي الذي كان يلوح بحزام المروحة.

قبل مرور نصف ساعة كانا ينطلقان على الطريق ثانية.

كانت ساشا تشعر بضيق لتتمكن من الاستحمام والتخلص من ثيابها المليئة بالغبار. لم تشعر مرة بأنها تفتقر للنظافة هكذا. مرت ساعة اخرى بين

الغابات والتلال قبل ان يصل الى منزل بان بروك، منزل متواضع محاط بالنباتات والزهور يقع في ضواحي البلدة الصغيرة.

فتح الباب قبل ان يخرج من الجيب وظهرت امرأة شقراء ترتدي قميصاً قطنية بيضاء اللون وتلف خصرها بتنورة من القماش الافريقي واسرعت نحوهما لاستقبالهما.

« روس! ما الذي حدث معك! »

« لا شيء، لا شيء. لقد تعطل الجيب، هذا كل شيء.»

« لقد قلقنا جداً.» واستدارت دانييلا لتتنظر الى ساشا وقد برقت عينها الكبيرتان من الدهشة. عرف روس عنها فمدت دانييلا يدها وهي تقول غير مصدقة: «انت خالة فيكي؟»

ضحكت ساشا وقالت:

« أسفة ان خيبت أملك.»

« لا، لا ... لم افكر ابداً ... انت لا تشبهين ابداً ما كنت اتوقع.»

« اعتقد انك كنت تتوقعين امرأة عجوز تنتعل حذاء رياضي. بدأت اتساءل ما الذي قالته فيكي عني.»

تجهم وجه دانييلا وقالت: « لم تقل لي شيئاً، روس من فعل ذلك فاعتقدت انه يعرفك. آه، حسناً، لا تهتمي للأمر. لندخل ونشرب شراباً مثلجاً، لابد انك ظمأنة.»

اسرعا بالدخول الى منزل مبرد بواسطة نوافذه المواجهة لبعضها في غرفة الجلوس الكبيرة.

قالت دانييلا: «اجلسا.» بينما ظهرت فتاة افريقية فطلبت منها دانييلا ان تحضر ابريق الشاي المثلج مع السكر والحامض.

سألت بعد ان غادرت الفتاة: «واين امضيتمما الليل؟» قال روس: «في الجيب.» ابعد شعره عن جبهته وتابع: «نحن متعبان جداً، ما هو وضع المياه عندك؟ هل هناك مجال للاستحمام؟»

حركت دانييلا يدها وقالت: «لا مشكلة، هل تريدان الاستحمام اولاً ام الشراب؟»

«الشراب، من فضلك.»

لم تكن ساشا متأكدة مما تريده اولاً، لكنها بقيت صامتة. كانت دانييلا نظيفة ونشيطة ومليئة بالحيوية. شعرت ساشا بالخيبة. فأخر مرة استحمت فيها تبدوا لها من اجيال مضت وفي عالم آخر. قدم الشراب بعد لحظات قليلة، شربته في اسرع وقت ممكن ونهضت.

رافقتها دانييلا الى غرفة الضيوف، حيث وجدت ان حقيبتها قد وضعت هناك.

كانت الغرفة بسيطة، ونظيفة ومريحة بستائرهما الملونة وغطاء السرير.

رأت غرفة الحمام صغيرة لكن فيها كل ما تحتاجه وهذا ما جعلها تشعر بالراحة.

شعرت بالفرح لأنها تستحم وتتخلص من كل هذا الغبار على شعرها، وان تشتم رائحة الصابون والشامبو. ارتدت ثوباً قطنياً قصيراً ذات اللونين الاخضر والازرق.

وكانت تمشط شعرها عندما سمعت طرقاتاً خفيفاً على الباب. فتح الباب ودخلت دانييلا استجابة لدعوتها وهي تحمل بيدها كوباً.

قالت: «اعتقدت انك بحاجة لتشربي كوباً آخر وانت ترتدين ثيابك.»

«نعم، شكراً لك.» ورشفت رشفة كبيرة من شراب ابيض اللون وحلو المذاق.

«هذا شهّي، ما اسمه؟»

«عصير فاكهة اخضر اللون.» والتقت عينها بعيني ساشا في المرأة وتابعت: «احب شعرك، لونه رائع.»

«شكراً لك.»

سارت دانييلا على مهل باتجاه الباب، فشعرت ساشا بأن هناك توتر مفاجيء في المكان. لم تحضر دانييلا من اجل الشراب فقط، فهناك شيء يشغل بالها. تابعت ساشا تسريح شعرها، ثم عقدته في خصلة وراء ظهرها، لترفعه على رأسها لتحمي نفسها من حرارته على وجهها وعنقها.

قالت دانييلا، مؤكدة احساس ساشا: «اتساءل ان كنت استطيع التحدث معك لفترة.»

شعرت ساشا بالتوتر من دون ان تعلم السبب لكنها قالت بساطة: «بالطبع.»

«امضى روس ليلة اول امس عندنا، وهو متجه الى اكرّا. لقد كان ... قلقاً.»

قالت ساشا وهي تنظر الى دانييلا باهتمام: «لقد لاحظت ذلك، فلم يكن سعيداً بأن يصطحب خالة فيكي العجوز العانس خلال رحلة الى الشمال.»

فيكي العجوز العانس خلال رحلة الى الشمال.»

لمع تردد واضح في عيني دانييلا الزرقاوين وهي تقول: «حسناً، نعم، لكن ليس هذا هو السبب.»
شعرت ساشا بأنها تزداد توتراً وقالت: «أذا ما هو الامر بالتحديد؟»

كانت تعلم عما ستحدثان. فلقد تحدثت روس عنها امام اصدقاءه. مع انه لم يكن قد قابلها بعد وما هي الآن، في منزل غرباء عنها وتشعر بأنها تنتقد وتحاكم قبل ان تصل الى مكان سفرها. لقد رميت في وضع الدفاع عن نفسها، من دون ان تعلم انها بحرب. تبأ له.

قالت دانييلا: «الامر يتعلق بفيكي، اعلم ان امها قلقة بشأنها وتريدها ان تعود الى بلادها.»

«هذا صحيح.» مع وجود خمسة صبيان. فان شقيقتها تفتقد ابنتها الوحيدة كثيراً.

وهي قلقة بشأنها، وتريدها بقربها. وهذا امر طبيعي، اليس كذلك؟ شعرت بالانزعاج لوجودها هنا في هذه الغرفة الباردة، تبحث امر شقيقتها مع امرأة غريبة في منطقة نائية. كانت احياناً تشعر بالانزعاج من تصرف اختها نحو اولادها، وهي ليست متأكدة ان دنيز على حق برغبتها في عودة ابنتها، لكنها لن تبحث امر اختها او دوافعها مع غريبة، فهذا الامر لا يعني احد ويكفيها ما تشعر به حيال الموضوع. لكنها تعلم على من يقع اللوم.

عضت دانييلا على شفتها، فمن الواضح ان ساشا لن تعاونها، فقالت: «اعلم ان لا شأن لي بذلك، لكنني ... اهتم كثيراً بروس، فيكي وجاي فهم يقومون بعمل

رائع في الشمال، وانا حقاً لا اريد ان يصيبهم اي اذى.»

«اذى؟ ما الذي تحدثين عنه؟»

«انهم بحاجة لفيكي. فهي معلمة رائعة، منظمة ومتعاونة جداً. لا تحاولي ان تقنعيها بالعودة الى الولايات المتحدة، فهي بخير، كما تعلمين، اعرف ان الحياة لا تزال بدائية هناك، لكن روس وجاي يعتنيان بها.»

لما يعتقدون ان بإمكانها ان تقنع فيكي بأي شيء؟ فهي في الثالثة والعشرين الآن، ولم تعد طفلة. فان كان لديها الشجاعة الكافية لتأتي الى هنا فلا بد ان تكون لديها الشجاعة الكافية لتبقى. فلقد اتت على الرغم من اعتراض أمها وتوسلاتها. ومن المؤكد انها لن ترحل الآن بسبب ذلك.

عضت ساشا على شفتها. فهي لا تشعر بأي إحساس ان عليها تقديم أي وعد لأي كان. وكل ما تشعر به هو الغضب من روس، ومن كل هذا الوضع الساخر، لكنها مصممة على ان لا تظهر اي شيء مما تشعر به.

بطريقة ما جعل منها انسانة شريرة.

قالت ببساطة: «انا هنا فقط أقوم بزيارة ولكي اراها.»

«انها بخير، سترين ذلك.» وضعت يدها على مسكة الباب وتابعت: «سيصبح الغداء جاهزاً في غضون عشر دقائق، وأسفة ان مارك ليس هنا ولن يعود من عمله قبل المساء، لكن روس يريد المغادرة بعد الغداء

مباشرة. وهو يعلم انه مرحب بكما لامضاء الليلة هنا، لكنه لا يريد ان يفكر بالامر.» ابتسمت قبل ان تكمل: «هؤلاء الرجال لا يحتملون. لا دقيقة واحدة للراحة في حياتهم، روس وجاي يهتمان بالمرضى ومارك يعمل على ألا يمرضوا بتأمين المياه النظيفة لهم. انهم جماعة من المدمنين على العمل.» هزت كتفيها وهي تتابع مستغربة: «لا يمكنك تغييرهم.»

«لا بد انهم يحبون ما يفعلونه.»

«آه، نعم، لا بد من ذلك. بكل الاحوال، يسعد المرء برؤية كل هذا الاهتمام. على الاقل هم يعملون لأمر يستحق العناء.»

وضعت ساشا القليل من المسكارا على رموشها وقالت: «اعتقد ان هذا يجعل تقبل ذلك اسهل.» فالموت من العمل لأجل شركة استثمارية لا تحقق هذا الاحساس. لكن ليس عليها ان تضع اللوم على ريتشارد، فهي لم تكن افضل منه. وضعت عليه المكياج جانبا وقالت: «لقد انتهيت، على الاقل اصبحت جاهزة لتحمل الحرارة والغبار على الطريق، من الافضل ان اترك الغرفة لروس الآن.»

بعد تناول الفطور المعد من الدجاج وقطع الاناناس الطازجة، عادا للانطلاق. بعد مرور نصف ساعة، ادركت وبعد فوات الاوان، انها تركت قبعتها في منزل بان بروك.

تمتمت: «آه، تبا.»

«ماذا؟»

«قبعتي، لقد ادخلها الخادم الى المنزل، ومازالت هناك.»

«هذا افضل مكان آمن لقبعة بذات الشكل.»

قالت بغضب: «اخرس.»

ابتسم، فتجهم وجهها على الفور. لن تسمح له ان يتسلى بفقدانها اعصابها فهو جالس بهدوء منتظر ان يحدث لها ذلك، ولذا عليه الانتظار لفترة طويلة، وطويلة جدا.

لم تكن الرحلة سهلة وممتعة، لقد امضيا ساعات بانتظار قافلة تقلهما عبر نهر بلاك فولتا، وقد رأت السائقين ينامون تحت ظل شاحناتهم. امضيا الليل في منزل معد للسفر ومن دون مكيفات تبريد. واستقلا الجيب في اليوم التالي من شروق الشمس حتى غروبها، حيث اختفت الغابات الخضراء واصبحت الارض اكثر جفافاً وغباراً. اختفت الرطوبة واصبح الهواء جافاً حتى كاد يجف جلدها. اصبحت القرى اكثر فقراً ومتباعدة عن بعضها، ومنازل من الطين يتوسطها مركز تجاري بسيط ويحيطها سور من الطين ايضاً.

وكما هي الارض، اصبح الجو بينهما اكثر قسوة ايضاً، لم يتكلما اية كلمة لفترة طويلة من الوقت، فقد كانا متعبان وعندما يتحدثان تنطلق من فمهما كلمات غاضبة.

امضيا ليلة اخرى في منزل للراحة، وكل ما وجدته هناك وعاء كي تغتسل فيه.

اخيراً، وفي فترة بعد الظهر وصلت الى اوبالابي.

قال روس بامتنان: «اهلاً بك في اوبالابي.»
حاولت ان تستجمع قوتها لتتمكن من التحرك، ها قد وصلت اخيراً. نظرت من النافذة باهتمام كبير.
كانت اوبالابي بلدة صغيرة مليئة بالغبار بسبب شوارعها الرملية وابنياتها الصغيرة ومحلاتها القليلة العدد التي اطلق عليها اسماء اجنبية. كانت شوارعها مكتظة بالناس، وبالبائعين المتجولين، مرا امام دكان يبيع المفروشات وآخر للطعام ثم رأيت منازل صغيرة صنعت السطوح من الحديد وجدرانها من الطين الاحمر.
يقع المجمع الاستشفائي في نهاية البلدة، وهو كناية عن مباني بيضاء اللون تتصل بممرات مرصوفة.

قالت وهي تنظر الى المبنى: «اذا هنا تمضي حياتك.»
«لم يعجبك الامر، اليس كذلك؟»
«لم احاول ان اصدر حكماً، كنت فقط اتكلم، اين تعيش فيكي؟ كتبت تقول لي انها تعيش في مجمع قرب المستشفى.»

«كلنا نفعل ذلك، منازلنا من الناحية الاخرى.»
رأت ثلاثة منازل صغيرة في ظل اشجار وارفة.
«يعيش جاي ونورا في المنزل الاول، الثاني لـ فيكي، والاخير لي.»

قاد الجيب حتى وصل الى الباحة، فمدت ساشا يدها لتفتح الباب، وهي تشعر براحة لا تصدق ان بإمكانها ان تخرج من هذا الجيب وتمد ساقها.
امسك رسغها بقبضة حديدية ونظر مباشرة الى

عينها وهو يقول بصوت منخفض: «تذكرني ما قلت لك، فيكي ستبقى هنا.»

حدقت به وهي تشعر بتوتر واضح. كان وجهه جاداً وكئيماً، ولم تجد اية لمحة من المرح في عينيه، كان يتكلم بمنتهى الجدية.

حسناً، وهي ايضاً هكذا، فلا رغبة لديها ان يسيطر عليها احد، وخاصة هذا الرجل المستبد.

قالت يهدوء: «دع ذراعي.»

ترك يدها لكنه لم يبعد نظره عنها.

سأل بنعومة ولكن بلهجة محذرة: «هل سمعتني جيداً؟»
لم تبعد نظرها عنه بل قالت بذات النعومة ويهدوء ايضاً: «أه، نعم، لقد سمعتك.»

الفصل الثالث

استدارت ساشا وخرجت من الجيب. إذا كان يفكر انه سيخيفها، فلا بد انه مخطيء. فتح الباب الامامي لأحد المنازل وخرجت فيكي منه.

كلما تفكر ساشا فيكي، فهي تفكر بالزهور البرية والضحكات العالية وبمداعبة الحيوانات الاليفة وبالكيك المصنوع بالشوكولا. فلقد نشأت فيكي وهي تلعب بالطابة مع اخوتها الخمسة، تتسلق الاشجار وتعالج الحيوانات البرية المجروحة في مزرعة والديها الكبيرة.

اما الآن، وهي تراقبها تتقدم نحوها، اول ما لاحظته كان ضعفها، فهي ضعيفة، وضعيفة جداً. لا بد انها لم تأكل الكيك بالشوكولا منذ زمن طويل. في السابق، كانت تعتبر من الاشخاص البدينين، اما الان فلا بد انها من الناس الذين يتضورون جوعاً.

كما ان هناك شيئاً آخر. ابتسامة مصطنعة وعينان تشعان بالقلق. شعرت سارة وكأن قلبها يغوص بين ضلوعها وهي تنظر الى ابنة اختها. هناك شيء ما، فهذه ليست فيكي. اين ضحكتها وعيناها اللتان تتراقصان من الفرح؟

ارادت ان تعبر عن قلقها، لكنها سكتت في الوقت المناسب. ضمت فيكي اليها بقوة فشمت رائحة عطرها الطفولي فاستجمعت قوتها وقالت: «تسعدني رؤيتك.»

اجابت فيكي بسعادة: «وانا سعيدة انك هنا.» ابتعدتا عن بعضهما وابتسمتا. نظرت ساشا الى وجه فيكي، بدت شاحبة ودوائر سوداء تحت عينيها. وعلى الرغم من ابتسامتها الكبيرة، كان هناك قلق غير عادي في عينيها الرماديتين.

سألته: «كيف كانت رحلتك؟»

اجابت ساشا: «رائعة.»

«حقاً؟»

«نعم، لقد تعلمت الكثير فيها. تعلمت على قدرة التحمل والاستمرار في الظروف الصعبة.» ونظرت بفرح الى روس.

سألت فيكي: «هل انت متعبة؟ بالطبع انت كذلك، اي سؤال احمق هذا.»

قالت ساشا بشجاعة: «أه، لا، انا بخير فالمغامرات تنعش.»

اتكأ روس على الجيب وعقد يديه على صدره. كان يراقبهما ولم يظهر اي تعابير على وجهه.

نظرت فيكي اليه وقالت: «اني متأكدة انك سعيد بوصولك. هل ترغب في شراب ما؟» بدت وكأنها مترددة قليلاً، وكأنها غير معتادة على تقديم شراب له، او انها ليست متأكدة ان عليها ان تدعوه، ربما هي دائماً حذرة منه.

هز رأسه وقال: «انا فقط اوصل خالتك الى هنا، ومن الافضل ان اسرع لأرى ما الذي يفعله جاي ولكي انقل المعدات. هل هناك اية مشاكل؟»

قالت بصوت هادئ وعملي: «لا شيء جديد.»

كان لدينا حالة طارئة ليلة البارحة، اما الباقي،
فكالعادة.»

« جيد، اراك لاحقاً.»

قالت ساشا، وهي تبتسم بلطف: «شكراً على ايصالي.»
لقد صممت ان تبقى كريمة الاخلاق معه على الرغم
من تصرفاته العدوانية.

التقت عيناه بعينيها للحظة، بعدها هز رأسه بصمت
وصعد الى الجيب وقاده باتجاه المستشفى.

نظرت فيكي الى ساشا ورفعت حاجبها قائلة: «ماذا
هناك؟»

« لم نتفاهم جيداً . فهو متسلط ومتفاخر جداً، اليس
كذلك؟»

لمعت عينا فيكي بالدهشة وقالت: «انه رائع، وطبيب
مميز. هو وجاي ايضاً. كما وان روس ليس بطبيب
فقط انه المدير ايضاً. وهو المسؤول عن كل ما يجري
هنا، كما وانه يقوم باعمال رائعة ومميزة.»

شعرت ساشا بامتنان واخلاص فيكي له، فقررت ان
اي تدمر عنه ليس من مصلحتها. فشعورها نحوه، لا
يشاطرها به احد، لذا من الافضل ان تبقئهم لنفسها
على الاقل الآن.

قالت بحماس: « لا بد ان من يعمل هنا، شخص مميز
فعلاً.» وهذه هي الحقيقة. فليس بقدرة اي شخص
ان يفعل ذلك. وتابعت ببساطة: «بالمناسبة، تبدين
رائعة، لقد فقدت بعضاً من وزنك، اليس كذلك؟»
متظاهرة انها لم تلاحظ تحولها.

هزت فيكي كتفيها وقالت: «اعتقد، بسبب الحرارة،

فلا شهية لدي، كما انه لا يوجد انواع كثيرة من
الطعام هنا، فلذلك لا اشعر بالرغبة في الاكل اغلب
الاحيان.»

بدا الامر منطقياً، لكنها كانت تشعر بأن هناك اكثر
من ذلك. ربما الطبيبان لا يعطيانها الوقت لتأكل،
او انهما يرهقانها بالعمل. مهما يكن، فليس الوقت
مناسباً الآن للحصول على مزيد من المعلومات.
تبعث فيكي الى الداخل وحدقت بما حولها بفضول
كبير.

كانت غرفة بسيطة ذات ارض خشبية ومغطاة
بسجادة دائرية الشكل. المفروشات بسيطة ومصنوعة
باليد، تتحرك في سطح الغرفة مروحة بسرعة كبيرة،
رأت الكتب واشرطة موسيقية وكثيراً من الالعاب
والمجلات مكومة بدون ترتيب على الطاولة ...
على الارض، وعلى الرفوف الموجودة على الجدران.
وشعرت بالراحة عندما رأت باقة من الزهور الجميلة
الالوان على طاولة صغيرة.

طلبت منها فيكي الجلوس، ودخلت فتاة شابة الغرفة
وهي تحمل بيدها شراباً . كانت تدعى سامو. لديها
وجه لطيف وعينان تتقدان بالذكاء. وضعت الصينية
على الطاولة، وغادرت على الفور.

سألت فيكي، بصوت متوتر قليلاً: «كيف حال أمي؟»
« انها بخير وكذلك الجميع بخير.» ولم تخبرها عن
فرار اخيها الصغير.

شدت فيكي على يديها من شدة التوتر وقالت: «يسعدني
انك هنا، اقصد كزائرة. لكنني لن اعود معك، ساشا،

اعلم ان امي ارسلتك الى هنا لأخذي، لكنني سأبقى هنا، ومن الافضل ان اخبرك بذلك على الفور.»
 « لم ترسلني امك الي هنا، فيكي، منذ متى تملك والدتك القدرة علي لأقوم عنها بأي شيء.»
 تنهدت فيكي وقالت: « انها تجبر الناس على فعل ما تريده، وانت تعلمين ذلك، لا فكرة لديك كم واجهت من الصعوبات للحصول على هذا العمل. كان عليك ان تسمعيها.»

ضحكت ساشا وقالت: « لقد فعلت، صدقيني.»

« والآن عملت على ارسالك الى هنا.»

« لم يكن لها دور بذلك، لقد اتيت بمحض ارادتي. حسناً، لقد كانت فكرتها، هذا كل شيء. فأنا بحاجة لعطلة، وفكرت ان آتي الى زيارتك. فهذا سيعطيني فرصة حقيقية لرؤية افريقيا، واذا تمكنت من تهدئة امك يكون ذلك افضل.»

قالت فيكي وكأنها لا تصدق ما سمعته: « حسناً، اتمنى ان تفعلني، ستصاب بحالة من الهستيريا عندما تدرك انك لم تتمكني من اعادةتي معك.»

رشفت ساشا رشفة كبيرة من شراب الشاي المثلج وقالت: « ماذا تعتقدين انني سأفعل؟ سأضعك في كيس واجرك الى المطار؟ هيا، فيكي.»

« اتمنى فقط ان تقبل الحقيقة بأن علي ان اعيش حياتي كما اشاء وان اقوم باتخاذ خياراتي بمفردي، ان وافقت عليهم ام لم تفعل. انا حقاً احب العيش هنا. اشعر وكأنني جزء من شيء مهم. احب روس وجاي، وهما طبيبان رائعان ومخلصان جداً.»

« حسناً، عليها ان تتقبل ذلك، اليس كذلك؟ فانت في الثالثة والعشرين من عمرك.»

« ما زالت تعتقد انني في العاشرة، فهي تكتب لي رسالة كل يوم بعد الاخر لتقول لي ان انظف اسناني.»

ضحكت ساشا وقالت: « لا، لا يعقل ذلك.»

ضحكت فيكي معها وقالت: « حسناً، هذا ما تكتبه بالتحديد.»

سمعتا طرقتاً على الباب فدعت فيكي الطارق الى الدخول. دخل روس الى الغرفة، يحمل بيده كتاب ساشا ووضعه على طاولة القهوة. قال: « وجدته في الجيب.» ونقل نظره بينهما.

قالت ساشا: « شكراً.» وهي تشعر بالانزعاج من طريقة نظرتة اليهما.

سألت فيكي: « هل هناك شيء ما؟» من المؤكد لاحظت نظراته المستفهمة. هز برأسه ناعياً وقال: « لا، لا، هل تستمعان؟»

فكرت ساشا، لا بد انه سمعها تضحكان وهذا ما فاجأه. ربما توقع مشاكل فورية ... الامسك بفيكي وجرها الى الامطار.

قالت فيكي بصوت يدل على اعتذار: « كنا نتحدث عن امي.»

رفع حاجبه مستفهماً: « حسناً، يسعدني ان التحدث عنها يفرحكما، لقد اعتقدت انها موضوع اهتمام وقلق.» سار نحو الباب وهو يتابع: « اراكما لاحقاً، قال جاي اننا مدعوون على العشاء.»

اومأت برأسها موافقة وقالت: «نعم، نراك لاحقاً.»
اغلق الباب وراءه فنهضت فيكي وقالت: «والآن سأريك غرفتك.»

كانت غرفة بسيطة، كغرفة الجلوس. رأت سريراً ضيقاً، طاولة صغيرة وكرسي عادي ثم بعض الرفوف وتعليقات للثياب.

قالت فيكي: «انها ليست الهلتون، لكني اتمنى ان ترضي عنها. لا وجود لمكيفات هوائية هنا، لكن في الليل تبرد المنطقة بأكملها، فهذه ساشل كما تعلمين، وليست بعيدة عن الصحارى.»

«لم اكن اتوقع الهلتون، فيكي، فلا تقلقي بشأن ذلك. انا هنا لأراك وارى افريقيًا، او جزء صغير منها.» وضعت حقيبتها على السرير وفتحتها وهي تتابع: «احضرت لك بعض الحلوى فقد قامت امك باحضارها ما ان تأكدت انني قادمة الى هنا.»

امسكت بعلبة وقدمتها وهي تتابع: «حلوى بالشوكولا والبندق، كما احضرت لك بعض الحلوى من اصابع التين، لكن انا وروس اكلنا احد الاكياس كفتور في الصباح الذي علقنا فيه بالغابة.»

ضمت فيكي الحلوى الى صدرها وقالت بفرح: «أه، عظيم، نحن لا نحصل على هذه الاشياء دائماً.»

نظرت ساشا الى فيكي شعرت بأن صوتها ينم عن قلق، فقالت: «حسناً، لنتناول بعضها الآن، فانا ارغب في فنجان من القهوة ان كان لديك.» كانت لا تزال تشعر بالتعب والارهاق ولا بد ان القهوة ستنعشها.

قالت فيكي بسرعة: «أه، لا. اقصد اننا يمكننا تناول

القهوة، لكن من الافضل ان احتفظ بهذه الحلوى لمناسبة ما، لنتشارك مع الآخرين. هل يزعجك ذلك؟ نحن دائماً نفعل ذلك.»

«بالطبع، لا يزعجني ذلك.»

تابعت فيكي: «من الصعب الحصول على الطعام هنا، احياناً نذهب الى منطقة بركان فاسو للتسوق. فلديهم انواع كثيرة للطعام وكلها فرنسية المصدر، تفاح، جبنة، اجاص. لكنها رحلة شاقة، ولا يمكننا القيام بها كل اسبوع.» سارت نحو الباب وهي تقول: «لاضع هذه جانبا.»

«بالطبع، كما تشائين.» حدقت بفيكي وهي تغادر الغرفة. هذه ليست عابثتها. ففيكي التي تعرفها تأكل نصف علبة من الحلوى في جلسة واحدة. هزت كتفيها وحدقت من النافذة في الاكواخ من الطين الاحمر وسطوحهم المغطاة بالاعشاب. رأت امرأة تلتف بالالوان الزاهية وتحمل على رأسها قرطاً كبيراً من الموز. هذا عالم مختلف، مما لا شك فيه والبيئات المختلفة تغير تصرفات الناس. لا بد من ذلك.

في المساء كانت تجلس امام روس على الشرفة الكبيرة لجاي ونورا برانسكون. كانت تشرب عصير الفاكهة وتتمنى لو انه غير موجود هناك. كان ينظر اليها باستمرار او انها تتخيل ذلك. وكان من الصعب عليها ان لا تنظر اليه، وهو يرتدي بنطالاً ابيض وقميصاً قطنياً، كان يبدو هادئاً ووسيماً جداً. ابعدت نظرها عنه لتنظر الى باقي الضيوف. لقد

قالت لها فيكي قبل قدومها: «نحب ان نجتمع معاً عندما يأتي لأحد منا ضيف ما، فنحن نتشارك بضيوفنا ايضاً.»

علمت ساشا ان «نحن» تعني جاي وزوجته نورا، روس وفيكي وجوشن، مهندس زراعي ألماني، واثنان من المتطوعين للسلام حيث يعلمان في المدرسة المهنية في البلدة، وامرأة اسبانية عالمة «بالعلم الانساني» وايرلندي ضعيف يدرس اللغة المحلية ويحاول ان يكتبها.

كانوا مجموعة غريبة من الناس، واصغت ساشا باهتمام الى حديثهم الاشد غرابة.

نامت بعد الظهر لمدة ساعتين، بعد ذلك استحمت وشربت فنجاناً آخر من الشاي المثلج فاستعادت كل قوتها. ارتدت تنورة مليئة بالالوان وقميصاً حريرياً بدون اكمام ورفعت شعرها واصبحت جاهزة لرؤية الغير.

كان منزل جاي ونورا اكبر من منزل فيكي، لكنه بسيط مثله. تشعر فيه بأنك في منزل حقيقي، حيث تعيش الناس بفرح وراحة. كانت غرفة الجلوس واسعة معلق فيها مروحة كبيرة تبرد الهواء في المكان. كانت المفروشات محلية الصنع والغرفة مزينة بكل انواع الفن الافريقي، من السلالات الى الفخار والمنحوتات حتى الاشغال اليدوية. لم يكن هناك جهاز تلفاز او جهاز فيديو.

سألها جاي: «ما رأيك بمزيد من الشراب؟» كان جاي رجلاً طويلاً ونحيفاً، ولديه خصلة من الشعر

الرمادية، ويبدو لطيفاً ومحبباً كذلك زوجته الناعمة كانت نورا تعمل كقابلة قانونية وتقوم بزيارة القرى المجاورة لمساعدة القابلات القانونيات ولتحسين مهارتهن.

قالت: «نعم، شكراً لك.»

سألها الجميع عن رحلتها وعن انطباعاتها الاولى عن البلد. وكانت مدركة لاهتمام روس وهي تتكلم، فقالت انها وجدت كل شيء رائع ومثير للحماس، وهي تعلم انه كان ينتظر ان يسمعها تتذمر بسبب الحرارة والغبار والطعام، ولفقدان اي وجود للتسهيلات الحديثة او اي وسيلة من وسائل الراحة. لو ارادت هذه التسهيلات والوسائل، والهمبرغر والستيك المشوي، لفضلت البقاء في بلادها حيث تتوفر وتزدهر هذه الامور بكثرة.

حاولت ان تتجنب نظراته، كانت تبتسم وهي تتكلم ومع ذلك لم يفارقها الشعور بالتوتر، فلقد عاودها صدى صوته وهو يقول: «تذكرني ما قلته لك» فأخذت رشفة من كوبها وهي تعاود التفكير بما سمعته من فيكي «انه رائع، كما وانه طبيب ماهر، ومسؤول مهم.»

لكن لماذا تشعر هكذا بحضوره؟ ولما لا تستطيع ابعاد نظرها عنه؟

انه يبدو مختلفاً هنا عما كان عليه في الرحلة. لم تستطع ان تدرك الفرق، الا انها علمت انه مرتاح الآن، فكل الضيق والتوتر الذي كان يشعر بهما قد فارقاه.

انه لا يرغب في الابتعاد عن المستشفى. سألتها جاي: «اخبريني، الى متى تنوين البقاء هنا؟» قالت ببساطة وهي مدركة ان روس يحدق بها: «هذا يعتمد على مدى استقبال فيكي لي. فالحضور الى افريقيا فرصة نادرة وانا ارغب في معرفة المكان قليلاً.»

« ينظر الزائرون الى الجفاف والغبار في اوبالابي ويقررون انهم رأوا كل شيء ويغادرون على الفور.» «أه، لكن لا بد ان هناك أكثر من الجفاف والغبار في هذا المكان، فأنتم هنا منذ زمن طويل.» هذا ما اجابت به وهي تنظر لكل منهم بمفرده وهي تتابع: «من الواضح انكم وجدتم شيئاً يستحق عناء البقاء.»

ضاقت عينا روس لكن ابتسامتها اتسعت وهي تقول بمرح: «لما يبدو الشك عليك، روس.» واخذت تسأل عن المستشفى والعمل والناس هناك، وبدا على جاي انه مهتم بالاجابة عن كل تساؤلاتها، واقترح عليها ان تأتي مع روس في الغد عندما يقوم بزيارته المعتادة على المرضى اضاف: «لديه حالات مثيرة للاهتمام.»

عاودها ذلك التوتر على الفور.

قال روس بفضاضة: «ربما ليست مهتمة بالطب الاستوائي.»

قالت وهي تبتسم: «بل على العكس، فأنا لدي مجال واسع من الاهتمامات.»

شعرت بأنه ينظر اليها وهو يقول: «انها تلعب الورق

ايضاً، لقد قالت لي ذلك، كما تحب ان تعتمر قبعات مخيفة.»

قالت نورا وهي تضحك: «روس!»

تابع بذات اللهجة القاسية: «في غضون ثلاثة ايام يمكنك ان تتعرف على الآخر جيداً، ولا تقلقي انها قاسية كالمسمار، الست كذلك خالتي؟»

ابتسمت ابتسامة كبيرة للجميع وقالت: «في الحقيقة، انه خائف مني، لكنه يخفي ذلك.»

انفجر الجميع بالضحك ما عدا فيكي التي بدت كالمصدومة، استمر جاي في الضحك وهو يقول: «حسناً، حسناً، روس، عليك ان تراقب نفسك وانت تتعامل معها.»

قدم العشاء من الارز وصلصة الخضار وقليل من اللحم ونباتات مقلية وتمتع به الجميع، ولقد تهاوتوا على الشوكولا والبندق التي احضرتها فيكي، حتى لم يبق منها شيء في عدة لحظات.

تمتعت ساشا بالعشاء وبالتعرف على الجميع، وبالنقاش... فهي لم يحدث معها ذلك مطلقاً من قبل. كان هناك شيء خاص بالعيش في مثل هذه الاجواء، والاماكن المعزولة، شيء يجمع الناس لبعضهم البعض ويجعلهم يعتمدون على بعضهم في كل شيء... في الصداقة، والطعام والمساعدة وحتى التسلية.

كانت تراقب فيكي باستمرار طوال السهرة. كانت سعيدة وراضية جداً وتتعامل مع الجميع ببساطة مطلقة، وكان من الواضح جداً انها مغرمة بجوشن. لم تبذل ساشا اي مجهود لتعلم السبب، فجوشن شاب

لطيف، ذكي ومتحمس لعمله ، ولديه عينين داكنتين تنظران الى فيكي باعجاب وحب.

لم تذكر دنيز شيئاً عن جوشن، ومن المحتمل ان ابنتها لم تعلمها بوجوده. تفهمت ساشا ذلك ايضا. فستصاب دنيز بانهيار عصبي لو علمت ان ابنتها ستتزوج من مهندس زراعي الماني يعمل في افريقيا، فهي بذلك ستخسر ابنتها نهائياً في احدى بلاد الاغتراب.

لم يفارقها الاحساس الغريب الذي شعرت به ساشا منذ وصولها، مع كل الفرحة الذي تحياه فيكي، انها لم تكن متشوقة لرؤيتها. فهي قرأت قلقاً غريباً في عينيها وسمعت صوتاً لم تنساه منذ وصولها بعد الظهر. كما وانها لا تتخيل مراقبة روس لها طوال السهرة.

تنهدت وابتعدت هذه الافكار عن رأسها واخذت تشرب قهوتها بهدوء.

بعد قليل من الوقت، بدأ البعض في المغادرة. قررت فيكي انها ستذهب برفقة جوشن لرؤية كتب قد وصلتته اليوم من تلميذ جامعي سيغادر البلدة. ومن الواضح ان الكتب هي الكنوز الاغلى ثمناً في هذا المكان.

نظرت ساشا الى فيكي وقالت: «انتم تتشاركون في الكتب، ايضاً.»

ابتسمت فيكي وقالت: «نعم، لن اتأخر بالعودة الى المنزل.» نظرت الى روس بتردد وقالت: «ربما يستطيع روس مرافقتك حتى المنزل.»

اجابت ساشا: «اه، لا داع لذلك، ان فكرت قليلاً، اعتقد سأجد الطريق بمفردتي.»

وقف روس وقال: «انني مغادر بكل الاحوال.» سارا معا في الظلام البارد المليء بالاصوات الغريبة، وكانت تشعر بالتوتر لقربها منه.

سألته: «ما الذي يجري هنا مع فيكي؟» رفع حاجبيه وقال: «ماذا تقصدين؟» وبدا نور القمر على وجهه وكأنه يزيد من غموضه.

«انها مختلفة، لا اعرف كيف، لكنها تتظاهر بالمرح.»

قال بلهجة متعالية: «الحياة هنا تغير الناس، ولا مجال لعدم حدوث ذلك.»

حسناً، ربما هذا ما حدث لها.

«هل من الطبيعي ان تخسر الكثير من وزنها؟»

«ليس ذلك غير طبيعي. فالحرارة تفسد الشهية، وانا متأكد انك لاحظت ذلك!»

نعم لقد لاحظت، فهي لم تأكل الكثير في الايام الاخيرة. وربما هي تتخيل اشياء واشياء، لمعت صورة اختها في المطبخ تجهز الحلوى لابنتها وتحدث: «ربما ليس علي ان اقلق، لكنني لا استطيع ان افعل. فلدي ذلك الشعور الخفي، ولا اعلم سبب ذلك ولماذا.»

لم تهتم لكلام اختها اثناء ذلك، فلدى دنيز دائماً اوهاما واحاسيس غريبة تجاه اولادها. حتى انها تفقدهم الشجاعة، ومع وجود ابنتها الوحيدة في مجاهل افريقيا الخطرة، فلا بد لحدس دنيز وعواطفها

ان يسببا لها الكثير من القلق والاهام والتوتر. اما الآن فهي ساشا تعاني من ذات الاحاسيس بنفسها. لكن الطبيب الماهر يقول ليس هناك من شيء يدعو للقلق، لكن للمرة الثانية، لما عليها ان تثق به؟ فلا بد ان لديه برنامج الخاص. وسيسعدنا ان تعلم ما الذي يخطه ل فيكي.

استيقظت في صباح اليوم التالي على صوت الفراح الصغيرة. كان الوقت لا يزال مبكراً، لكن فيكي كانت قد غادرت الى المستشفى. وجدت سامو في المطبخ، التي قدمت لها فنجانا من القهوة وتحدثت معها بلغة انكليزية ضعيفة. رأت في المطبخ الصغير، فرن صغير وبرد وخرانة ووضعت قوائمها في اوعية من ماء. قالت سامو، لابعاد الحشرات، كما رأت رسالة تركتها لها فيكي.

صباح الخير، استريحي اليوم، لكن اذا اردت الخروج لرؤية المستشفى والدروس التي نعطيها في عياداتنا الخمس، نبدأ العمل عند التاسعة ويبدأ روس عمله عند الثامنة اذا كنت تريدين مرافقته. فيكي.

رأت ان هذا العرض الوحيد الجيد في هذا اليوم، طالما لا يوجد اسواق للتجول ولا يوجد متاحف هنا. ابتسمت لفكرتها تلك. وفي الحقيقة انها افضل من التجول. فهذه هي افريقيا، ورؤية فيكي في عملها امر مثير للاهتمام.

بعد ان تناولت الفطور من الخبز العادي ومربي المانغو وبعض الفاكهة. استحمت وارتدت تنورة

قصيرة بيضاء وقميصاً ازرق. بعدها توجهت نحو المستشفى.

ارشدتها ممرضة افريقية ترتدي الزي الابيض الى قاعة الاطباء وطلبت منها الانتظار لتذهب وتبحث عن الطبيب غرانت. وصل بعد مرور عدة دقائق مرتدياً معطفاً ابيض وتتدلى من احدي جيوبه آلة الفحص.

قال، وقد ظهر على وجهه علامات التعجب: « صباح الخير.»

شعرت وكأن قلبها يقفز في صدرها.

« مرحباً.» كان يبدو مختلفاً. وتعجبت مما تشعر به، هل رؤيته كطبيب سبب لها كل هذا الاضطراب؟ فهو يبدو حازماً واهلاً للثقة.

قال بصوت هادئ وبلهجة طبيب مهم جداً: « لم اتوقع رؤيتك هنا.»

« ولما لا؟»

« اعتقدت انك ستنامين حتى الظهر.»

ضحكت. فهي لا تتذكر آخر مرة نامت فيها حتى الظهر، قالت: « لست من هذا النوع. احب النهوض باكراً. هل ستأخذني لرؤية المكان، دكتور؟»

« تعالي معي.» وامسك بمعطف ابيض معلق على مشجب وقدمه لها: « ارتدي هذا.»

استدار على الفور وسار نحو الباب بسرعة. ارتدت المعطف، وتبعته عبر الممرات في قاعة تضم عشرة اسرة وجميع المرضى من الرجال.

راقبته باهتمام وهو يتكلم مع المرضى باللهجة

المحلية، ولم يكن هناك من حاجة لتفهم الكلمات. فقد كان ذلك واضحاً في صوته وفي الابتسامة في عينيه ونعومة لمستته.

لم يكن هناك وجود للرجل الذي لا يحتمل، العديم الصبر الذي أمضت معه الايام القليلة الماضية وهي تقطع البلاد في سيارته المليئة بالغبار.

كان طبيباً ماهراً، هادئاً ومسيطرأ، فالقلق والتوتر غادراه.

جلس على كرسي وتحديث لمدة عشر دقائق مع رجل عجوز موفور الكرامة ولديه عينين حادتين. وهناك كثير من الجروح القبلية على خديه. قطعت ساقه منذ خمسة ايام. لقد تعرض لحادث كسرت فيها ساقه، بعدها وخوفاً من الطب الغربي، اصيبت ساقه بالغرغاريينا. وعندما احضره اقاربه الى المستشفى كان الوقت قد فات لانقاذ ساقه.

سألته بعد ان غادرا الى جناح آخر: «ولماذا لم يأت من قبل؟ لا بد انه تألم كثيراً.»

«حاولت ان اشرح له ذلك. لو انه اتى من قبل، لما كان فقد ساقه، ولو انه انتظر ليوم آخر بعد كان من الممكن ان يموت. حاولت ان اشرح له متمنياً ان يعود الى القرية ليبدد مخاوف الناس هنا من الطب.» هز كتفيه وهو يتابع: «نحاول دائماً للافضل.»

انتقلا بعد ذلك الى جناح النساء، ثم الى جناح الاطفال. لمعت عيون الاطفال عندما دخل اليهم، فقد كان هناك ابتسامة وضممة لكل منهم.

قال وهو يساعد ولداً على النهوض من سريره: «انظري

الى هذا الشاب الصغير، لم يكن يتمكن من السير بصورة طبيعية. لديه عيب في قدمه منذ الولادة وقد تم تصليحها بطريقة خاطئة. لقد اجريت له عملية في الاسبوع الماضي وها هو الآن يمشي مثلي ومثلك.» هز برأسه وهو يتابع: «كان يجب ان تتم العملية له عندما كان طفلاً.»

وهكذا استمر في التجول حتى حان وقت الذهاب الى العيادات الخمس. اشار لها الى اين تتجه، فشكرته على تلك الجولة الطويلة.

التقت عيناهما للحظة، وبدا وكأنها رأت سؤالاً في عمق عينيه، لكنه قال: «لا داع للشكر.» واستدار مبتعداً.

كانت العيادة غرفة طويلة مقاعدها مليئة بالنساء اللواتي ترتدين ثياب ملونة، وتحملن اطفالهن وكل واحدة منهن اخذت تحديق بساشا ما ان دخلت الغرفة.

ابتسمت لهن، وهي تشعر بعدم الراحة، لادراكها انها المرة الوحيدة في حياتها حيث تكون المرأة الوحيدة ذات البشرة البيضاء اللون في غرفة مليئة بالنساء والاطفال الافريقيين. وليست فقط بيضاء البشرة بل ايضاً حمراء الشعر.

قالت:

« صباح الخير.»

ابتسمت النساء لها وأجبن عليها بكلام لم تفهم منه شيئاً. وربما كان وسيلة للتحية.

فجأة ابتعدت عنها كل العيون لتتنظر ناحية الباب

حيث دخل روس. حيا النساء، واستدار نحو ساشا وقال: «ألم تري فيكي بعد؟»

هزت رأسها وقالت: «اعتقد اننا جميعاً بانتظارها.»
قال: «حسناً، أرى انك تقومين بدور فعال بتسليية الجميع هنا قبل ان يبدأ العمل حقاً.»

ضحكت، فهذا الوضع يسليها حقاً، قالت: «لم اعمل يوماً كمهرجة، لكن الحياة مليئة بالتجارب المثيرة.»

قال بصوت قاسي: «انها كذلك احياناً.» تحرك ليوقف بقربها، امسك بخصلة من شعرها بيده، وقال شيئاً لم تفهمه مخاطباً النساء. فازداد الضحك بشكل لافت.
«ما الذي قلته؟»

«قلت لهن ان كل النساء ذوات الشعر الاحمر في بلادني يتعاطين السحر.»
«لم تفعل ذلك!»

قلب شفته وقال: «لا، لم افعل، لانهن سيغادرن الغرفة في لحظة واحدة، ولما ضحكنا هكذا.»
«هل يؤمن الناس هنا بهذه الاشياء؟»

«ليس موضوع كهذا يبحث ويناقش، لكن امور غريبة تحدث. فهم يؤمنون بجوجو، نوع من الشعوذة، ولا يسمح للضحك بشأنه.»

ظهرت فيكي في الغرفة تحيط بها ممرضتين تدرسان التمريض، واللتان نظرتا الى ساشا باهتمام.

بعد حديث قصير مع فيكي غادر روس، فعرفت فيكي ساشا على الممرضتين اللتين تساعدانها في العيادة.

امضت ساشا ساعات قليلة وهي تراقب ما يجري، وهو مزيج من دروس في التغذية وفي فحص الاطفال والرضع. احبت هؤلاء الاطفال بعيونهم الكبيرة، وحبهم الكبير للضحك، لكن كان يبدو انهم يشعرون بالخوف ولو قليلاً منها. شعرت باحساس غريب ان تكون مصدر خوف لاحد ما.

وبينما كانت تراقب فيكي، تساءلت اي تجارب غريبة اخرى بانتظارها، وهذا التفكير اعطاها احساساً بالحماس والتوتر معاً.

لاحظت امرأ واطحاً في الحياة في اوبالابي وهو التضامن والمحبة في هذه الجماعة القليلة. فهم يجتمعون ببساطة لتناول الطعام والشراب، لقراءة الكتب، او استعارة الاشياء، ولتوصيل الاخبار. احبت ساشا طريقة التعامل هذه، فالناس هنا يعرفون بعضهم جيداً ويحبون بعضهم كثيراً.

لاحظت، ان روس، لا يجتمع دائماً مع البقية. كان يبقى بمفرده ويمضي ليلاليه في المستشفى يعمل في مكتبه. وكل شخص هناك يكن له احتراماً مميّزاً، ليس فقط لانه طبيب لامع، بل كونه يجعل من المستشفى تسير بمنتهى الدقة.

وهذا في رأي الجميع، بسبب الخوف من فقدان المال والمعدات والمواد التمويلية.

علمت ساشا، ان روس مطلق، وان زوجته كانت فتاة جميلة من نيويورك والتي تقلق كثيراً بشأن اناقة

اظافرها. واكثر من ذلك لم تعلم شيئاً، فلم تكن انجياً
موضوعاً للتحدث بشأنه.

تساءلت ساشا عنها ولماذا فشل زواجهما، ربما
للامر علاقة باظافرها. فنظرت الى اظافرها، كانت
اظافرها جميلة وقد لونها بلون العسل.

قالت فيكي بعد ظهر احد الايام: «جوفي البلدة
وسيقم حفلة. كما واننا جميعاً مدعوون اليها.»

سألت ساشا: «ومن هو جوفي؟» فهي لم تسمع من قبل
مطلقاً بجوفي.

قالت فيكي:

«جوفي دورنغا» هو شخص من البلدة قد نجح في
حياته العملية. وهو ابن شيخ للقبيلة في احدى
القرى المجاورة وقد ارسله والده الى جامعة هارفرد
للاعمال وهناك اشتهر باسمه الاول جوفي.

اعمال جوفي ناجحة في الهندسة والانشاءات في اكر
كما وانه يعمل في السياسة ايضاً. لديه منزل كبير في
اوبالابي يعود اليه في المناسبات ليرتاح وليتخلص
من ضغط العمل والحياة القاسية في المدينة.

كل الناس هنا ينتظرون الحفلات الرائعة التي تقام
في منزله وختمت فيكي قولها: «انتظري حتى تري
بنفسك المنزل.»

ذهبتا الى الحفلة مع جوفي ونورا.

كان منزل جوفي دورنغا من ناحية مهجورة في الجهة
المقابلة للبلدة. نظرت ساشا بتعجب الى المنزل الكبير
المؤمن بكل ما تحتاج اليه الحياة الحديثة والذي

يبدو وكأنه خارج عن نطاق المكان المليء بالاكواخ
والبيوت الصغيرة.

قالت فيكي: «جوفي جداً.» نظرت ساشا الى جوفي.
كان شاباً وسيماً فارح الطول يرتدي ثياباً غريبة
الطراز ويبدو مترفاً جداً. كان من الصعب عليها ان
تصدق ان هذا الرجل قد نشأ في قرية اكواخها من
طين.

تابعت فيكي: «لا يأتي الى هنا دائماً، لكن عندما
يحضر، يقيم للجميع حفلة... آه، ها هو جوشن.»
وانطلقت نحوه بسرعة كبيرة، تاركة ساشا مع جوفي
ونورا اللذين عرفاهما على بعض الضيوف.

سألت: «ألن يحضر روس؟»

اجاب جوفي: «انه لا يزال يعمل وهو في انتظار
مخابرة من الولايات المتحدة، قال انه سيحضر فيما
بعد.»

وهذا ما حصل. راقبته ساشا يدخل الى الغرفة بعد
مرور ساعة من الزمن، فشعرت وكأن قلبها يقفز
في صدرها، وهذا ما ازعجها. سار نحو جماعة
من الناس وتناول شرباً معهم وعندما رآها تقدم
نحوها.

سألتها: «لوحده؟»

«انها حفلة جميلة، لقد انتهيت من تناول الشرب.»
سألتها بصوت ساخر وهو يرفع حاجبه، وهذا ما
ازعجها: «اتحبين الحفلات؟»

قالت بفرح:

«آه، نعم، وانت الا تحب الحفلات؟»

أخذ رشفة من شرابه وقال: «ليس بالتحديد..»
لم تكن هذه أخبار جديدة بالنسبة لها. فلديه أعمال
أخرى عليه القيام بها بدلا من الذهاب الى الحفلات.
لديه مستشفى عليه الاهتمام بها ومرضى يجب
السهر عليهم.

قالت ساشا، محاولة تغيير مجرى الحديث: «هذا بيت
يستحق الإقامة فيه.»

ونظرت حولها الى المفروشات والديكور الغربي وهي
تتابع: «لم أتوقع وجود مثل هذا البيت هنا، في هذا
الجزء من البلاد.»

قال روس: «يبني الناس بيوتا كبيرة في القرى
او البلدة التي ولدوا فيها عندما يجنون المال في
أكرا.» وقال أن بيوت صغيرة تبني وراء البيت
الكبير للاقارب والاهل، وهؤلاء يهتمون بالبيت
في غياب المالك في أكرا وتابع: «هذه هي الحياة
الاجتماعية في افريقيا، فعندما تحصلين على المال
تهتمين بكل شخص من العائلة الكبيرة. لقد فعل
الكثير لقريته ... بنى بئرا وعمل على مد الانابيب،
والتي تعمل طالما هناك ماء في الجدول، لكنه
افضل من لا شيء.»

لم تكن قد تكلمت معه لعدة ايام، ومع ذلك كانت تراه
وهو يغادر الى المستشفى عند الصباح، وهي تشرب
قهوتها في غرفة الجلوس. لم ينظر مرة ناحية بيتها،
ومن المحتمل ان لا فكرة لديه انها تراقبه. لم تفعل
ذلك عن قصد. لكن هذا ما كان يحدث، وكانت تترقب
رؤيته.

كان يبدو وسيماً الآن، وهو يرتدي بنطال غامق
اللون وقميص قصيرة الاكمام.

قال: «هل اكتفيت من كل هذا؟»

«اكتفيت من ماذا؟ الحفلة؟ لقد اتينا الى هنا منذ
ساعة فقط.»

«لا، ليست الحفلة، بل الحياة الرائعة والمشوقة في
اوبالابي.»

ابتسمت ثانية ابتسامة مشرقة وقالت: «لا، لا على
الاطلاق. فأنا امضي اوقاتاً رائعة.»

فهي تشعر وكأن حياتها قد ملأت بتجارب جديدة.

«أه، حقاً؟ وما الذي تفعلينه لتسلي نفسك؟»

«لقد كتبت رسائل الى جدي وجدتي، وانا اطالع
الكتب السحرية في افريقيا، جوجو، ولقد وجدت
كتباً مثيرة بذلك، كما وانني اقوم بالتسوق.» وهنا
ابتسمت بفرح وتابعت: «احب المحلات التجارية هنا
وخاصة اسماءها، المحفوظ، اللحم لوك، الخياط
الباريسي، كذلك السوق، فالسوق رائع.»

نظر اليها مشككاً وقال: «اكوام من الذرة؟ وقدر
من الطين؟ والذباب؟ والاطفال العراة؟ والاقذار؟ وكل
ذلك تجدينه رائعاً؟»

قالت: «بالمطلق، فهو مليء بالالوان، كما وانني احب
سوق النساء.» لن تقول له ان هناك اشياء افرحتها
كثيراً. وقد تكون القذورات والروائح كثيرة في بعض
الاقوات، لكن كل هذه الامور تعود الى نظرتك الى
الامور، وهي مصممة ان تنظر الى الناحية الايجابية
من كل شيء. اضافة الى ذلك يبدو انه مقتنع انها

ستجد المكان لا يحتمل ويبدو انه يفكر انها الآن جاهزة للعودة من الخوف والازدراء.

حسنا، لم يحدث هذا.

فهي انسانة منفتحة العقل، راغبة في التعرف على كل شيء. وهي ستنمى في هذه التجربة الجديدة، ان اعجب ذلك الدكتور غرانت ام لم يعجبه، والسوق كان بالتحديد تجربة جديدة لها، مختلفة عن كل ما اعتادت رؤيته. لقد تمتعت بالتفاهم مع البائعات باستعمال الإصابع واليدين للتفاهم. وكان ضحك النساء قويا وصادقا، ورغبتهم في مساعدتها حقيقية. وهذا مختلف جدا عن نيويورك، حيث يتصرف الباعة وكأنهم يقدمون خدمة لك.

« وماذا وجدت لتشتري من تلك الامكنة؟ »

قالت بدون تردد: « اشتريت من سوق الاقمشة. » فلقد اشترت مجموعة من الاقمشة من كل الالوان وكل النواع. وقد رأت ان صناعة هذه الاقمشة ونوعها مغر لها. تابعت: « انه حقاً يزيد من ثقافتك، استطيع ان اعد لك عشرة اشياء الآن. »

قال بفضاضة: « اعجوبة في دقيقة واحدة، لكن دعيني اقدم لك نصيحة، ابتعد عن جوجو. فانت لا تدريين ما الذي تفعلينه فالناس هنا لا تحب تدخل الغير بحياتهم. والآن، اعذريني. » وابتعد عنها متوجها الى مكان آخر.

امضت طوال السهرة وهي تتكلم مع جو والضيوف، فيما كانت تنظر ناحية روس. ويبدو ان لا مشكلة لديه بانجذاب النساء له. فشقيقة جو، والتي تبدو

كعارضة ازياء بثوبها الطويل والعارى الكتفين، تحدثت معه لوقت طويل، كذلك متطوعة في « بيس كوربس » تبدو منجذبة اليه. وكريستين التي تدرس علم الانسان، وهذا ما لم يدهشها فهو وسيم، عازب. ونظرتها الثاقبة تدفعهن للتساؤل ماذا وراء هذا الغموض والهدوء.

ادركت انها اصبحت اكثر انزعاجاً وهي تراقب روس يتحدث الى هؤلاء النسوة، واللواتي ينظرن اليه بفخر ودلال.

ربما ليست منزعجة، ربما هناك شيء آخر مختلف كلياً. وهي ليست راضية عن نظرات الاعجاب لهؤلاء النسوة. وهذا ما جعلها تشعر وكأنها ... مهددة.

سمعت صوتاً في داخلها يقول، انت تشعرين بالغيرة، في تلك اللحظة التقت عيناها بعينيها. شعرت ببرودة قوية، ثم وكأن موجة من الحر سيطرت عليها. سمعت صدى في داخلها يقول، تغارين! تغارين! تغارين!

الفصل الرابع

« اتشعرين بانك لست بخير؟ »

سمعت ساشا هذا الصوت وهي تكاد ان يغمى عليها. اغمضت عينيها، وهي تشعر بذراع قوية تسندها. ومن خلال الضباب الرمادي رأت الوجه الذي ينظر اليها انه روس، وهو ينظر اليها باهتمام مهني وهو يراقبها بهدوء.

قالت: « لا، لا، انا بخير. » كذبت وهي تحاول ان تخفي هذا الالم المفاجيء. ما الذي حدث لها الآن؟

« بدوت وكأنه سيغمى عليك. »

كانت ذراعه تضمها بقوة بينما امسك بيده الثانية رسغها ليتأكد من نبضها.

ابعدت يدها عنه، فهو قريب جداً منها، وهذا ما يجعل قلبها يخفق بعنف.

« لم يغم عليّ مرة من قبل ولا رغبة لدي في ان يحدث لي هذا الآن. » تنفست بعمق ووقفت جالسة، متمنية ان يبعد ذراعه عنها، لكنه لم يفعل.

قالت: « احب ان اتناول نوعاً جديداً من العصير، من فضلك. » كانت تشعر وكأنها تتقلب بين نقيض من العواطف رغبتها بالبقاء بقربه، والحاجة بأن تهرب منه وتبتعد عنه.

قال: « سأحضر لك بعض الماء. »

شعرت بالغضب من كلماته وقالت بهمس: « قلت لك انني بخير، وانت لست طبيبي! »

بدت وكأنها تتصرف كطفلة وهذا ما ازعجها ابتعدت عنه، لكنها مشت وساقياها ترتجفان.

دخلت الى الحمام ووضعت الماء البارد على وجهها ورطبت منشفة ووضعتها على خديها.

رأت انعكاس صورتها على المرآة. كانت عيناها تلمعان من الحرارة وكذلك وجهها.

هذا الشيء الاكثر جنوناً الذي مرّ معها طوال حياتها. فلا بد انها حقاً مصابة بشيء ما، فهي تشعر وكأن دماغها يغلي في رأسها.

اذا كنّ هؤلاء النسوة يرغبن بروس، فعلى الرحب. انه مغرور وديكتاتوري، وبامكانهن الحصول عليه، فهو وسيم ولديه شهادة عالية في الطب. فهي ليست بحاجة لكل هذا.

وضعت المزيد من احمر الشفاه، ورتبت شعرها واجبرت نفسها على التنفس بعمق كي ترتاح. كان الحمام فاخراً ومزوداً بكل التسهيلات من اميركا وبلاطه من الابيض والاخضر الباهت والازرق، نظيف جداً بارد، وكأنه واحة من الراحة في هذا المكان.

كانت على وشك ان تغادر هذه الواحة عندما سمعت طرقة عنيفاً على الباب. فتحتة ووجدت نفسها وجهاً لوجه امام روس، الذي نظر اليها وكأنه يتفحصها بصمت.

شدت على اسنانها وقالت: « قلت لك انني بخير. »

« تماماً، وانا لن انتظر طويلاً حتى اعرف ماذا حدث معك. »

ماذا لو لم تجب؟ هل كان سيخلع الباب؟ مجرد التفكير بذلك جعلها ترتجف. فلم يخلع اي رجل باباً من اجلها.

قالت بلطف: «اقدر اهتمامك، لكن كما ترى، ليس هناك من حاجة، والآن هل تسمح لي بالمرور؟»
كان يقطع عليها طريق المرور ومع ذلك لم يتحرك، قال: «فقط للحظة، اذا شعرت ثانياً بهذه العوارض، تعالي الى مكتبي كي اعاينك.» توقف للحظة قبل ان يكمل:

« او دعي جاي يفعل ذلك.»

يعاينها روس، ويتأكد من دقات قلبها واشياء اخرى. مجرد التفكير بذلك جعل دقات نبضها تتسارع، لكنه اضاف: « او دعي جاي يفعل ذلك.» وكأنه يدرك ان علاقة الطبيب بمريضه قد تسبب لهما مشاكل.

قالت ببساطة وهدوء: «لقد قمت بكل الفحوصات المطلوبة منذ شهر تقريباً، وانا بصحة رائعة.» ليس هناك اي سوّ بها الا جرعة كبيرة من الغيرة، وادراك ذلك جعلها تشعر وكأن رأسها خفيف جداً وستفقد الوعي؛ لكنها لا تجيد ان تشرح له ذلك. حسناً، بالطبع يمكنها ذلك، لكنها لن تفعل.

قال: «جيد، والان حاولي ان لا تفرطي في تناول الأكل.» وابتعد قليلاً ليدعها تمر فعادت إلى غرفة الاحتفال، وقد حاولت أن تأكل الكثير لتثير غضبه، لكنها علمت ان تصرفها هذا طفولي. وفي صميم قلبها اعترفت انها تأثرت باهتمامه.

نظرت حولها فرأته يراقبها على بعد خطوتين وليس

اكثر، كانت عيناه غامضتين ولا يمكن التنبأ بما يفكر فيه.

قال جو يحدثها: «هل اعجبتك الحفلة؟»

استدارت نحوه وابتسمت، وهي تشعر براحة كبرى لانها بذلك تبعد انتباهها عن روس. قالت: «انها حفلة رائعة، لكنها تعتبر وكأنها فصام قليلاً، فأنا لست متأكدة انني في افريقيا.»

قال وهو يبتسم ابتسامة باهتة: «ان الحياة كلها مليئة بالفصام والتناقض.»

يمكنها ان تفهمه، قالت: «علمت انك رجل يعيش في عالمين مختلفين، وهذا ليس بالامر السهل.»

نظر اليها لفترة بعدها قال وهو يبتسم: «لا، ليس سهلاً ابداً، لكن له منفعه.»

اعجبت به، فقد كان انساناً منطقياً ومرحاً واستمتعت بسماعه وهو يتحدث عن نشأته في قرية صغيرة لا تبعد عن اوبالابي وحيث لا يزال والده شيخ للقبيلة هناك، وعن حياته في اميركا وتحصيله العلمي، كانت تلك الحفلة اجمل حفلة حضرتها.

لا بد انها ستحظى باوقات جميلة هنا. وطالما ان فيكي راغبة في بقائها، فلا داع للعجلة لترحل.

سألتهافيكي في اليوم التالي وهي تنظر الى المجموعة الكبيرة من الاقمشة ذات الرسوم الافريقية في غرفة ساشا: «ما الذي ستفعلينه بكل هذه الاقمشة؟»

ضحكت ساشا: «لم اعرف بعد. سأفكر بشيء ما.»

وضحكت من نفسها. بالطبع تتمنى ان تعرف، فاهتمامها بالاقمشة الجميلة يكاد ان يصبح هوساً، ومع ذلك لا يمكنها ان تبتعد عن المحلات التي تباع هذه الاقمشة. شيء ما يدعوها للذهاب الى هناك تكراراً وتكراراً. ربما هناك قدر ما في عملها، لذلك، لا بد ان الوقت سيظهر ذلك.

لدى سامو شقيقة تعمل خياطة في دكان صغير في البلدة. رسمت ساشا لها ثوبا قصيرا وكتبت لها المقاييس بالمترا واخذت معها نوع من القماش وتوجهت اليها.

ومع كثير من الاشارات والضحك وقليل من اللغة الانكليزية، علمت ان الثوب سينتهي في اليوم التالي. وكان هذا مثال عن العمل. كان هناك في المتجر فتاتان عاريتا الاقدام وماكينه خياطة قديمة الطراز، ومروحة صدهة تصدر اصواتا اكثر مما تنشر البرودة، لكنها تجمع الخيوط المنتشرة على الارض.

مرت ثلاثة ايام قبل ان ينتهي العمل بالفستان، على الرغم من الوعد بانهاهه بيوم واحد، لكنه كان مميزاً ... ومع انه بالامكان ان تكون الخياطة افضل، لكنه لم يكن شيئاً ابداً. راقبت الفتاتان ساشا وهي ترتديه امام مرآة قديمة صدئة وهي تنظر الى نفسها. من الواضح انهما وجدتا هذا الثوب مضحك قليلاً، وتساءلتا لما تريد ان ترتدي ثياباً بالاقمشة الافريقية بدلاً من الاقمشة الغربية المختلفة الانواع. كما وانهما اعجبتا جداً بشعرها، وتساءلتا ان كانت تصبغه. وهذا ما زاد من اجواء

المرح بينهن، وعادت ساشا الى المنزل وهي لا تزال تبتسم.

وصل روس بعد لحظات من دخولها الى البيت. قال من دون اية مقدمات: «اعتقدت ان علي ان اخبرك ان جاي ذاهب الى اكرا بعد غد، واذا اردت ان يقلك الى المطار، سيسعدك ذلك.» كان صوته هادئاً ويضع يديه في جيبه وبكل هدوء.

سألته: «هل مازلت تحاول التخلص مني؟»

قال ببساطة: «احاول ان اقدم لك خدمة.»

حدقت به قائلة: «روس، ماذا لديك ضدي؟»

رفع حاجبيه وقال: «لا شيء، خالتي، لا شيء. كنت اتسال ما الذي يجعلك تبقيين هنا، ان تصابي بالجنون من الملل؟»

رفعت كتفها وقالت: «على الاطلاق. اني امضي اوقاتاً سعيدة ورائعة جداً.»

«بقراءة الكتب؟»

«بالطبع.» بدا لها وكأنها رفاهية غير معقولة ان تجلس طوال فترة بعد الظهر او المساء وهي تتجول في عوالم جديدة ورائعة ضمن غلاف كتاب. ففي السنوات الاخيرة كانت منشغلة جداً لتجد الوقت للقراءة وهذا عمل تحبه فعلاً.

ابتسمت وتابعت: «تعطيك قراءة الكتب خيارات كثيرة للعيش، كما وانني اتمتع كثيراً بالتسوق والتعرف على الناس هنا.»

«الا تشعرين بالحاجة للقيام بأمر مفيد في حياتك؟»

أه، الطبيب الماهر لا يحب الكسل والتسكع. فهو يعمل في مجال يستحق كل العناء ويشعر بالضيق لرؤيتها تضيع وقتها بالتحدث في سوق النساء وقراءة القصص البوليسية.

هزت رأسها وقالت: «لا، على الاطلاق.» فهي لم تحظى بعطلة حقيقية منذ ثلاث سنوات، فلم يكن لديها الا عطلة نهاية الاسبوع التي تنتهي بسرعة قصوى، وهي تستحق فترة من الراحة، ولا تشعر بالذنب مطلقاً.

سألها: «ومتى ستقررين الرحيل؟»

«لا افكر بالمغادرة الآن.»

ساد صمت ثقيل بينهما. وكانت المروحة تدور بصوت قوي فوق رأسيهما. رآته ينظر اليها بقوة، فلم يكن هناك صداقة او مرح في عينيه.

قال بصوت قاس: «اريدك ان تغادري.»

هزت رأسها وقالت: «نعم، فهمت ذلك، انا لست عمياء ولا صماء، روس.»

«لقد قمت بزيارتك، واقتنعت ان فيكي بخير. والآن عودي لتخبري امها ان لا تقلق عليها.»

«لقد فعلت ذلك، كتبت لها رسالة.»

«هل توقفت عن التفكير باعادتها معك الى الولايات المتحدة؟»

ابتسمت ابتسامة صغيرة وقالت: «لم تكن لدي مطلقاً هذه الافكار، دكتور. ولا فكرة لدي من اين يفكر الجميع هكذا.»

قال وقد بدا التوتر على وجهه: «انت الفكرة من والدة

فيكي، لقد ارسلت تقول فيها انها ترسلك الى هنا لاحضارها معك.»

كان عليها تصور ذلك. فدنيز تحاول السيطرة على الآخرين دائماً، لكنها تعلم انها لا تستطيع ان تقول لها ذلك مباشرة.

ابتسمت ساشا لروس وقالت: «حسناً، لا بد انك عرفت الى الآن ... انني لا اجيد القيام بما يمليه علي الغير كما وانني لا احب ان يسيطر علي احد.»

تجاهل ما قالته وقال: «اذا لماذا تصرين على البقاء؟»

«لأنني اريد ذلك. لقد قلت لك، اعجبني المكان. هل هذا امر غريب؟ انه مكان رائع؟»

بدا وكأنه يشك بكلامها وقال: «لا احد يريد ان يكون هنا.»

«حقاً؟ انت هنا، وكذلك نورا وجاي، وفيكي، لماذا انا لست منهم؟»

قال بسخرية: «تفعلين ماذا؟ تمضين وقتك بالقيام بلا شيء؟»

هذا حقاً يزعجه، وتساءلت لماذا. «يبدو من الصعب عليك ان تتقبل ان ما افعله او لا افعله لا علاقة لك به في المطلق. ما الامر، دكتور؟ لماذا تريد ابعادي عن هنا بهذه القوة؟»

«لست منهم؟»

«لا عمل لديك هنا.»

رفعت كتفيها وقالت: «وهل اعيقك عن العمل؟ هل اتدخل بأمورك الشخصية؟ هل اقوم بشيء ما ضدك شخصياً، او ضد مهمتك الطبية؟»

«لا عمل لديك هنا.»

ازداد التوتر على وجهه وقال: «لا أعلم أي نوع من الألعاب تقومين فيها، لكنني احذرك.» وأستدار مبتعداً.

تنهدت بعمق. الجدل المتبادل بينهما اثر فيها اكثر مما كانت تتوقع. لقد شعرت وكأنها متعبة. جلست على الكنبة وهدقت بحزن بيديها: «يدان ناعمتان وعلى اظافرها طلاء جميل بلون الكرز. من المؤكد ان هاتين اليدين لانسانة لا عمل لديها وكسولة.

انها لا تعجبه، ويريدها بعيداً من هنا، وهذا ما يجعلها تشعر بالغضب والكره نحوه. والامر الغريب انها لا تشعر بذلك. بل تشعر بشيء مختلف تماماً. جلست صامتة تحديق باظافرها، محاولة ان تتفهم احساسها، وان تعطيه اسماً او صفة ما.

لم تكن غاضبة، بل كانت تشعر بالالام. وليس من السهل عليها ان تعرف معنى هذا الالم. ادركت انها تريده ان يراها كما هي في الحقيقة. فعندما ينظر اليها لا يرى المرأة التي هي عليها، بل يرى امرأة مختلفة تماماً. امرأة عاطلة عن العمل تبحث عن تضية الوقت بالتسكع.

وهذه غلطتها. ففي البداية قامت بالتمثيل عليه لانه اغضبها ولم تقم بشيء يجعله يصحح افتراضاته الخاطئة.

والآن يراها انسانة طائشة، لا تفعل شيئاً، تأخذ الحياة ببساطة بينما كل من حولها يعيش الحياة بصعوبة ويعمل كثيراً مقابل القليل القليل الذي يجده.

لكنها ليست كذلك. انها تحب المرح والضحك تماماً كأى شخص آخر، ما عدا ربما الطبيب غرانت، والذي يبدو انه لا وقت لديه للمرح، لكنها تحب ايضاً العمل والعمل الجدي ايضاً. وفي الحقيقة، لقد كانت رائعة في العمل القاسي.

وفي السنوات الماضية كان العمل هو كل حياتها، حتى لم يترك لها وقت لأي مرح او ضحك.

والآن تحاول التعويض عن تلك الايام الماضية، ولا داع للقول، ان المرء لا يستطيع العيش على المرح فقط، وعليها ان تعترف انها تعاني من بعض الضيق في الايام الاخيرة. ولا بد ان وراء ذلك سبب ما. فلقد حان الوقت للقيام بعمل جديد، او اتجاه جديد في حياتها.

او ربما عليها ان توضح اغراضها وتذهب الى كينيا وتتابع رحلتها كما كانت قد خططت لها. لا. فهي لا تريد مغادرة اوبالابي. فالحياة هنا نوع من التحدي وهي تعشق التحدي. كما وانها تشعر بأن هناك شيئاً ما يحدث. كان هناك احساس غامض في داخلها يدعوها للبقاء في اوبالابي، ويدعوها للصبر ايضاً.

لكن الصبر على ماذا؟

لا يمكنها الانتظار حتى تكتشف ذلك.

كانت قد لاحظت ساشا ان الصور المعلقة على جدران العيادات الخمس لا توحى بالفرح او تثير الانتباه. وبموافقة فيكي، قررت ان تفعل شيئاً بخصوص ذلك. اضافت ألواناً مشرقة ولمسات شاعرية، كطير مجنح

او ضفدعة صغيرة لها وجه انسان وسمكة ذهبية تقفز من الجدول.

لم تكن اعمالاً فنية مميزة، لكنها تثير البهجة، ومن المؤكد انها ستدفع النساء والاطفال للضحك اثناء زيارتهم للعيادة. راقبها روس بصمت وهو يسير في اليوم الذي كانت تعلق الصورة الاخيرة.

سألها: «انت فعلت ذلك؟»

لم تستطع ان تميز شيئاً من صوته ... ان كان قد اعجب بتلك الصور ام لا، قالت: «اعتقدت ان قليلاً من الحيوية لن يضر احداً.» وابتسمت قبل ان تتابع: «احب كثيراً ان انشر بعض الفرحة.»

نظر اليها نظرة غامضة وسار نحو العيادة الاخرى لينظر اليها. رأت ابتسامة ظهرت على وجهه. ثم استدار لينظر اليها وهو يضع يديه في جيبه معطفه الابيض، ويقول: «اعجبني ما فعلته، فالصور القديمة كانت جافة وجامدة.»

«شكراً لك. يسعدني انها اعجبتك.»

نظر الى ساعته، ثم تابع سيره، الى مواعده مع فريق صحي رسمي من بوركينو فاسو، والذين يريدون ان يتعرفوا على طريقة عمل مستشفى جي اش او. فمستشفى اوبالابي مشهور جداً، مع كونه صغير ومعداته عادية، لكن، كما تقول فيكي، ان الامر يعود الى الادارة المدروسة لروس تماماً كما هي مواهبه الطبية. فروس مثال للعمل الرائع.

راقبته ساشا وهو يسير نحو الاشجار وابتسمت.

فكرت، اين اصبحنا الآن؟ لقد تبادلنا بعض الكلمات

بطريقة هادئة، وفي الواقع لقد اعجب بشيء قمتم به، شيء يبعث المرح والحيوية في المكان. وبدا لها في تلك اللحظة وكأن اعجوبة صغيرة قد حدثت. شعرت بابتسامتها تكبر على وجهها، وشيء ما في داخلها بدأ ينمو.

بعد مرور عدة ايام، لمعت فكرة في رأسها في منتصف الليل ... رؤية لمزيد من الالوان والوضوح. جلست في سريرها وقلبها يخفق بقوة، متسائلة ان كانت حقاً مستيقظة.

ربنت على خدها بقوة. انها مستيقظة بالفعل، وهي بحاجة الى قلم وورقة بل عديد من الاوراق، كما وانها بحاجة الى فنجان قهوة لتفكر بوضوح. انها الساعة الثالثة عند الفجر! لا بد انها مجنونة.

وما هو الجديد الآن؟ نهضت من السرير وفتحت باب غرفتها بهدوء كي لا توقظ فيكي، سارت ببطء حتى وصلت الى المطبخ لتصنع لنفسها فنجاناً من القهوة. وبينما كانت تنتظر المياه حتى تغلي، اكلت موزة واحضرت قلماً وورقة وآلة حاسبة كانت تحملها داخل حقيبتها.

جلست امام طاولة الطعام واخذت ترسم صوراً وتقوم بدراسة ارقام حسابية ومشاريع. وفي وقت قصير كانت الطاولة مليئة برسومات لفساتين وتنانير وقمصان وسراويل قصيرة. واوراق مليئة بالارقام واشارات بالدولار.

لا، لا يمكنها القيام بذلك. انه مشروع كبير جداً.

وهناك آلاف الاشياء التي تتعلق بهذا العمل وهي لا تعرف عنها شيئاً. فهي لم تمض الكثير من الوقت هنا... وهي لا تعلم كيف تجري الامور في هذه البلاد. كما وانها في عطة.

حيث هناك ارادة هناك وسيلة.

يمكنها ان تطلب رأي ونصيحة جو دورنغا.

ان استطاعت ان تجد نساء يجدن الخياطة مع عدد كاف من ماكينات الخياطة ... وبذلك تبدأ عملها الجديد.

لكن اولا تحتاج الى بداية صغيرة الى اجراء تجربة ما، وارسالها الى كارولين ان كانت قادرة على بيع الاقمشة الافريقية في محل لاتري شيك بوتيك انتيك. رتبت الاوراق فوق بعضها. ونهضت لتصنع لنفسها فنجان قهوة آخر واخذته لتجلس على الكنبه. رفعت ركبتيها واراحت ذقنها عليهما، جلست وبدأت تفكر فمن الضروري ان تفكر بالامر لا ان تتهور وتنفذ العمل بسرعة.

شعرت بالرعب عندما سمعت طرقاتاً على الباب. لا يأتي احد لزيارة الناس عند الساعة الرابعة والنصف صباحاً. نهضت عن الكنبه وسارت نحو الباب، سألت: «من هناك؟»

اجاب باختصار: «روس.»

شعرت باضطراب في قلبها. فتحت الباب، وهي تعلم انها عارية القدمين ولا ترتدي الا قميصاً قطنية بيضاء اللون. حسناً، انه يمضي طوال نهاره وهو ينظر الى الناس وهم في ثياب النوم. دخل الى الغرفة ونظر حوله.

« اين فيكي؟ هل هي بخير؟»

« بالطبع انها بخير. انها نائمة.»

تجهم وجهه ومرر يده في شعره. بدا مرهقاً جداً، سألتها: «لما انت مستيقظة في هذه الساعة.»

كان لدي حلم وامل. لكنها قالت: «لم استطع النوم. وانت ما الذي تفعله متجولاً في الليل؟»

« كنت في المستشفى كانت هناك حالة طارئة.» ضغط على رقبتة وبدت عيناه شاردتان. لم تشعر بالقلق لانها لا ترتدي ثياباً لائقة. فهو شارد الذهن لا يراها ابداً. وهذا ما ناسبها، لأن وجهها خال من المكياج كذلك شعرها يبدو وكأنه فرشاة حمراء.

وهي لا تشبه او تمثل الجمال الانثوي.

احست بالشفقة حياله فقالت: «اتريد فنجاناً من القهوة؟ او اي شراب ما؟»

كان الرجل يعمل الى ما بعد منتصف الليل، ولا يبدو انه كان يمضي وقتاً جيداً.

نظر الى ساعته وقال: «قهوة، فالوقت متأخر للذهاب الى النوم الآن.»

قالت: «اجلس.» و اشارت نحو كرسي ثم خرجت من الغرفة وهي تقول: «سأعود على الفور.»

حضرت فنجان قهوة، حملتهما وعادت الى غرفة الجلوس وسألت وهي تقدم له الكوب: «اي نوع من الحالات الطارئة؟ ماذا يحدث؟»

«امرأة شابة تحتضر. وانا لا اعرف السبب!»

تجهم وجهها وهي تقول: «تحتضر؟ بكل هذه السهولة؟»

«السهولة؟»

« لا، لا، لا، ليس بهذه البساطة، لكننا لا نعرف سبب مرضها ولا نستطيع إيجاد سبب واحد لموتها، لكنها تموت. كل الفحوصات المخبرية اتت سلبية وكل الفحوصات عادية.» بدا الاحباط على وجهه وضرب كفه بقبضة يده الاخرى وهو يتابع: «تبا لذلك. انها الحالة الثالثة في الاشهر الاخيرة.»

لم يبد لها الامر طبيعياً فقالت: «الحالة الثالثة؟ ما الذي يجري هنا؟»

«جوجو. هذا ما يقوله الاقارب، ولسوء الحظ لم تصنع بعد اي شيء لمحاربة هذه العقائد.»

شعرت بالخوف: «ماذا تعتقد عما يحدث؟»

رشف رشفة من القهوة وقال: «هناك احتمالان، الاول حالة من الاقتناع النفسي، فالمريض يؤمن ان هناك لعنة عليه وانه سيموت. وهذا ما يحدث.»

«بهذه البساطة؟»

«سيطرة الفكر على الجسم له قوة كبيرة. والاحتمال الثاني هو حالة من التسمم. اعتقد ان الناس هنا يدسون في الطعام نبتة لم نصل الي اكتشافها في العلم الحديث. ولا وسائل لدينا للتأكد من ذلك. فهي لا تظهر في الفحوصات المخبرية، وهذا ما يحدث، موت غامض وتأكيد ان لجوجو قوة اكبر من الطب الحديث.»

ومن الواضح، انه لا يؤمن بهذه الامور مطلقاً. فهو رجل علم ولا يريد ان يواجه معتقدات خرافية ويخسر، كما وانه لا يعجبه ان يشعر انه فاشل.

قالت: «اتريد المزيد من القهوة.»

نظر الى فنجانها باشمئزاز وقال: «هذه القهوة لا طعم لها، انا لا افهم لما تصر فيكي على شرائها.»

«واي خيار لديها هنا؟» فلا تباع المحلات هنا الا نوعين لا اكثر وهذه كتب عليها انها توفر النشاط والقوة.

انه يحب القهوة المرة. لم يكن رجلاً يبحث عن الرفاهية، لكن فنجان قهوة طيب امر جيد بالنسبة له.

اذا يحب القهوة ذات النكهة القوية، قالت: «ما هو الطعام المفضل لديك؟»

قال من دون اي تردد: «ستيك مع صلصة كثيفة وبطاطا مشوية مع الكريما، سلطة خضار مع جبنة الروكفور وخبز مثوم مع كثير من الزبدة.»

استغربت قائلة: «ألم تعلموك عن الكوليسترول في جامعة الطب؟»

«لقد ذهبت في رحلة بحرية ذلك اليوم.»

ضحكت وقالت: «وما هي الحلوى المفضلة لديك؟»

ابتسم وقال: «تشيز كيك، ماذا ايضاً؟»

«هل تتكلم بجدية؟»

«بالطبع. لما تعتقدين انني اعيش هنا؟ لو كنت في

بلادي لكنت أكل حتى الموت.»

«افهم ذلك. عدم النظام في الحياة مشكلة خطيرة

جدداً.» كان جوابها كمزحة. فهي لم تر بحياتها

شخصاً دقيقاً ومنظماً مثل روس غرانت.

سألها: «وماذا عنك؟»

قالت وقد بدا الحزن على وجهها: «لا اعتقد

ان علينا التحدث بذلك، فهذا يجعلني اشعر بالجوع.»

« ربما علينا تناول الفطور، كالبيض المخفوق والمقانيق.»

قالت وهي تنهض: « لا بد انك مريض. سأصنع المزيد من القهوة واحضر الموز. ايناسبك ذلك؟» ابتسم وقال:

« لا اريد القهوة، الديك شراب آخر؟»

« هناك شراب المانغا احضره جوشن.»

« يبدو مناسباً لي اكثر من القهوة.»

سكبت كوبيين من الشراب وبدأ بالتحدث لفترة وعلمت انه فقد والديه وهو لا يزال صغيراً ولقد عاش مع اخيه جايك في رعاية جده لأمه، ويحب البحارة والناس العاديين الذين يعشقون الحياة ويعيشونها بفرح وحماس.

كان روس يتحدث عن نفسه ويبدو مرتاحاً وكأن حزنه السابق قد اختفى. كان يظهر لها جانباً مختلفاً من شخصيته. كان يبدو... محبباً وقريباً لها.

قررت ان تغتني الفرصة لتسأله المزيد من الاسئلة التي قد تظهر اكثر ما في اعماقه والتي يخفيها وراء تصرف عادي.

سألته: « ما الذي تفتقده كثيراً في العيش هنا في اوبالابي؟»

قال:

« الماء.»

تجهم وجهها، الماء. لم تستطع ان تجد تفسيراً لما

قاله: « الماء الذي تشربه؟ أم الماء الذي يتساقط من السماء؟ أم المياه التي تتدفق في الانهار؟» وكل هذه نادرة الوجود في اوبالابي.

قال روس: « كالمياه في المحيطات، البحار والبحيرات. احب السباحة والابحار. فهي تعالج النفس والجسد.» وافقت ساشا على ما قاله.

واكتشفا بعد مرور ساعة ان لديهما الكثير من الامور المشتركة، فبالاضافة الى حبهما للسباحة والابحار، لديهما حب شديد للموسيقى الكلاسيكية وللجبنه الفرنسية والسونا. ولسوء الحظ، لا شيء من كل هذا متوفر هنا. كما وانهما يفضلان المفروشات ذات الطراز الغربي والكروم والستيل، ولحسن الحظ لا وجود لهذه المفروشات هنا، ايضاً.

شعرت بأن هناك جواً من التفاؤل يسود بينهما. وتقارب مفاجيء لابعاد العداوة وهذا ما جعلها تشعر بالراحة. كان العالم هادئاً جداً ولا صوت هناك غير صوت الحشرات في الخارج. بدا لها وبطريقة غريبة كأنهما وحيدان في العالم واي مشاكل وتعقيدات بينهما قد ازيلت بظلام الليل.

شعرت بالفرح وهي تراه يبتسم، وبالفرح اكثر لانها قادرة على جعله يبتسم.

كان يبدو مختلفاً، او على الاقل يظهر جانباً مختلفاً من شخصيته. انسان اكثر ليونة، وذات شخصية مرحة وجدت انه من السهل عليها التعامل معه. شعرت وكأنها مضطربة العواطف وهي تشعر بأن الجو بينهما مشحون بالعاطفة.

قال: «هناك شيء آخر احبه، الشعر الاحمر.» مد يده ومررها في شعرها.

قالت: «انا ايضا.» لقد كانت تحب شعرها منذ كانت فتاة صغيرة، لانه كان مختلفاً وكل من يراه يبدي اعجاب به، وكانت تتفاخر وتتباهى به دائماً. فمعظم صديقاتها كن ذات شعر بني فاتح او اشقر مائل الى الابيض، ما عدا صديقتها الصغيرة الكورية هاي ... هو والتي كانت تملك شعراً اسوداً لامعاً وعينان مثيرتان. وهي تتذكر انها كانت المرة الوحيدة التي شعرت فيها بالغيرة من عينين وشعر احد ما.

وها هي الآن تجلس على صوفا في افريقيا بقرب رجل يلامس شعرها ويقول انه يحبه، كان قلبها يدق بقوة ووجدت انه من الصعوبة عليها ان تتنفس. رفع ذقنها بيده الاخرى وقبلها.

لكنه قال بضيق:

«آه، ساشا، هذا جنون.»

كانت تعلم ان هذا جنون لكنها لم تبالي. ابتعد عنها واتكأ على الصوفا قد اغمض عينيه.

قال اخيراً: «اعتذر، ما كان علي ان افعل ذلك.»

حدقت به وقالت: «لا حاجة للإعتذار.»

لم يقل شيئاً، كان وجهه جامداً ونظراته تائهة.

شعرت بالخوف وقالت: «روس، ما الامر؟»

هز برأسه وقال: «لا شيء، لا شيء.» نهض وسار نحو الباب.

شعرت وكأنها لا تستطيع الحركة. نظرت اليه وهي لا تزال تشعر بقلته، وفجأة شعرت بالغضب واليأس

معاً. ارادت ان تسأله لما يشعر بكل هذا الحزن لانه قبلها، لكن كبرياءها منعها.
غادر من دون ان يتكلم.

وبعد مرور عدة ايام اصبح واضحاً لها ان ما حصل في تلك الليلة قد تبخر وان لا علاقة لكل ذلك الحديث الممتع بينهما الذي لم يبق منه شيئاً في الواقع. فلقد حصل في مكان آخر. كان يحاول دائماً ان يتجنب رؤيتها، وعندما لم يكن لديه خيار الا امضاء بعض الوقت بوجودها كان يبدو حزينا ومؤدباً. كانت عواطفها تتأرجح بين الغضب والألم، فقد كان الغضب يسيطر عليها حتى وهي تعمل في مشروعها للثياب.

لماذا يرفض وجودها؟ واين الخطأ في تقبيلها؟ لما يتصرف وكأنه لا يريد اي صلة بها؟

أه تباله. لما تهتم لأمره؟ فهي لا تريده وبطريقة ما من المهم ان تقنع نفسها بذلك. فكبرياءها على المحك.

كيف تمكنت من القيام بذلك، لم تكن تعرف، لكن بعد مرور اسبوعين كانت قد جهزت مجموعة من الثياب كموديل من القسيتين القصيرة والتنانير الطويلة والقمصان بدون اكمام، وايضا مجموعة من التنانير القصيرة مع قمصان خاصة بها، وكلها مصنوعة من مختلف الاقمشة الافريقية.

احبتهم فيكي وكذلك كريستين ونورا ولم يكن هناك اي عائق في ارسالهم الى الولايات المتحدة، فنورا

وجاي سيغادران بعد ثلاثة ايام وستأخذهم نورا معها وتوصلهم بنفسها الى محل لا تري شيك بوتيك انتيك.

قالت فيكي: «لكنها ليست ثياب قديمة.» والثياب القديمة كانت نادرة وباهظة الثمن. لكن على ما يبدو ان فيكي لا علم لديها عن الهدف الحقيقي للبيع في ذلك المتجر.

قالت ساشا: «لا، هذه ليست ثياب قديمة، لكنها مختلفة وجميلة. الناس في نيويورك يبحثون دائماً عن اشياء مختلفة.»

«هل ستعمل كارولين على بيعها؟»

«قالت انها ستبدأ بعرضها في جانب خاص.» لقد تمكنت بعد محاولات كثيرة ان تتصل بكارولين، وتابعت: «وان سارت الامور على ما يرام، سأفتح متجراً جديداً واطلق عليه اسم لا تري شيك بوتيك اكزتيك.»

قالت فيكي: «لن يكون الامر سهلاً. فالامور لا تسير كما كنت معتادة عليها وكل شيء يستغرق الكثير من الوقت.»

ساد الصمت بينهما، نظرنا الى بعضهما وهما مدركتان انهما تفكران بذات الفكرة.

قالت ساشا ببطء شديد: «اريد ان أسألك سؤالاً وواريد منك ان تجيبني بكل صدق وامانة.»

قالت فيكي: «اعلم، والجواب هو نعم، يمكنك البقاء هنا طالما ترغبين بذلك.»

«هل انت متأكدة؟»

هزت فيكي رأسها وقالت: «يسعدني انك هنا، وانت تعلمين ذلك، واعتقد ان ما تفعلينه مهم جداً. اعني، اذا سارت الامور على ما يرام فانك بذلك تساعدني في ايجاد وظائف جديدة وتقديم بعض المال لمن هم بحاجة له.»

بدا كلامها مشجعاً جداً، وان تمكنت من القيام بعمل جيد، لما لا؟ لكن مهما يكن، فوضع آمال كبيرة لن يفيد احد.

قالت بحذر: «لا يمكنني ان اعد بشيء، فما زالت الامور مجرد فكرة ولا ادري ان كانت ستنجح، لكنني احب ان احاول.»

«يمكنك ان تفعلي ذلك، ابقني هنا وحاولي.»

استلمت ساشا برقية بعد مرور ثلاثة اسابيع من كارولين، تقول لها ان معظم الثياب قد تم بيعها وانها تطلب منها ارسال المزيد باسرع ما يمكنها. خاصة الفساتين القصيرة والتنانير الطويلة التي اشتهرت بسرعة. وختمت رسالتها «ارسلي قدر ما نشائين»

كانت تفكر وتفكر وهي تتنقل في شوارع اوبالابي الملوثة بالغبار من متجر للخياطة الى آخر للحصول على المزيد من الثياب، فالناس هنا فقيرة والزراعة ليست جيدة، كذلك ليس هناك اعمال اخرى متوفرة. فالبدء بمصنع صغير للخياطة قد يؤدي الى بعض الرفاهية للعائلات هنا. ومجرد التفكير بهذا اعطاها احساس بالرضى. فالعمل سيتم هنا والاجر سيأتي من مكان حيث الناس لديها القدرة للانفاق. فزبائن

لا تري شيك بوتيك لديهم الكثير من المال ولا يدرون كيف سينفقونه، وبذلك سيتمكنون من المساعدة بطريقة ما.

شعرت بالحماس لهذه الفكرة. فهي ستقوم بعمل هي ماهرة جداً به وستستعمل هذه الموهبة للقيام بشيء مفيد. وهي بمفردها ستتمكن من اعادة توزيع الثروة في العالم، تلك المشكلة التي يتحدث عنها علماء الاقتصاد والسياسيين. وها هي بمفردها، ساشا لوكلرك، لا تتكلم بل تفعل.

لكنها فكرة مخيفة. لحسن الحظ، كانت تستطيع ان تسيطر على نفسها. فهي امرأة عملية، بنت نفسها بنفسها وهي تعلم ما الذي تفعله، وليس هناك ما تقلق بشأنه. لقد بدأت بعملها الاول من الصغر، ويمكنها القيام بذلك مرة ثانية.

استيقظت باكراً صباح يوم الثلاثاء، عند السادسة تماماً. فهي دائماً تنهض مع الفجر، وتبقى لدقائق قليلة مستلقية تصغي الى صوت العصافير والدجاج من الاكواخ المجاورة التي تستطيع رؤيتها من نافذتها. كان الطقس منعشاً وبارداً وهذا ما لا يدوم طويلاً. فالشمس المحرقة تسيطر على كل شيء وبسرعة.

سمعت حركة فيكي في المنزل، تحضر نفسها للذهاب الى العمل، قفزت ساشا من سريرها وذهبت الى الحمام لتستحم، سمعت صوت سامو وهي تعمل في المطبخ لتحضر لهما الفطور.

ما ان خرجت من الحمام حتى شعرت بهواء ناعم يمر عبر القاعة ويفتح باب غرفة فيكي. كانت فيكي تقف في وسط الغرفة ومازالت في ثيابها الداخلية، وتبدو خفيفة وهشة. استدارت متفاجئة ما ان ضرب الباب الحائط المواجه.

قالت ساشا: «صباح سعيداً.» وهي تقترب من الباب لتغلقه ثانية. لكن يدها توقفت عن الحركة وتجمد الدم في عروقها من المنظر المخيف الذي شاهدته وذلك بما كانت تقوم به فيكي.

الفصل الخامس

لم تعد ساشا قادرة على التنفس حدقت بفيكي التي كانت تنظر اليها بعينين كبيرتين. وساد الصمت المتوتر بينهما.

وقفت فيكي متوترة وهي تحمل بيدها ابرة طبية كانت تنزعها بعناية من ذراعها منذ لحظات قليلة. تنهدت ساشا بعمق. فالمشهد الذي تراه امامها مخيف والافكار السوداء والمخاوف تتسارع الي فكرها. هل تتعاطى فيكي المخدرات؟ وهل لهذا السبب تتصرف بغرابة في بعض الاحيان؟ وهل هذا هو سبب فقدانها لوزنها؟

همست: « فيكي؟ ما الذي تفعليه؟ »

تحركت فيكي واعادت الابرة الى وعاء بلاستيكي وقالت بضيق: « رأيت ما الذي افعله، وهذا الامر لا يعنك. »

تقدمت ساشا نحوها وامسكت بذراعها وقالت: « فيكي! لا اهتم ان كان الامر يعنيني ام لا! ماذا كنت تأخذين؟ اخبريني! »

نزعت فيكي ذراعها من يد ساشا وببطء رمت بنفسها على السرير وقد بدا الحزن والالم على وجهها.

قالت بيأس: « اعتقد انه علي اخبارك، ستكتشفين الامر عاجلا ام أجلا بكل الاحوال ... انه انسولين. »

« انسولين؟ » ولم تدر ساشا هل شعرت بالحزن اكثر ام بالراحة.

ضمت يديها الى بعضهما ووضعتهما في حضنها وقالت: « لقد اصبت بمرض السكري. »

شعرت ساشا بغصة في قلبها وهمست: « آه، فيكي، اني آسفة. »

قفزت فيكي بسرعة وقالت: « انه ليس بمرض قاتل ... لا تنظري الي هكذا. » كانت تقاوم من اجل كرامتها واحتفاظها برباطة جأشها.

« فيكي، السكري مرض خطيرا! »

امسكت فيكي بثوبها المعلق وارتدته على الفور وضعت يديها على وركيها ونظرت الى ساشا بارادة قوية وقالت: « انني مدربة للممرضات ذكية ولدي خبرة واسعة فلا تحدثيني عن مهنتي! والآن، اعذريني احتاج ان ارتدي ثيابي لانه الى العمل. »

« يجب ان نتحدث عن ذلك، فيكي. »

« لا، لا داع لذلك. »

ادارت ظهرها وكأن الامر قد انتهى بالنسبة لها. غادرت ساشا الغرفة واغلقت الباب وراءها بحذر، وهي تشعر وكأنها قد خدرت من الصدمة.

تظاهرت فيكي اثناء الفطور انه لم يحدث شيء، محاولة ان تحافظ على وتيرة واحدة من الكلام حتى اصبحت ساشا قادرة على الصراخ عليها. لكنها تمكنت من السيطرة على نفسها وهي تأكل ببطء الخبز والبيض المخفوق. شعرت بالراحة عندما غادرت فيكي الى المستشفى.

فهمت الآن كل شيء، فقدان الوزن، القلق والتعبير الغامضة على وجه فيكي، والحلوى، تلك الحلوى

التي احضرتها وسؤال روس بضيق (ما الذي فعلته؟) واخيراً عندما قال لها هل هناك المزيد من هذه؟ هي لا تأكل هذه الانواع الآن... اعطيني اياها، خالتي.)

لقد اكل عن عمد كل اصابع التين كي لا تقدمها لفيكي، وقد كان مستعداً ليأكل المزيد. لم يرد ان تشعر فيكي بالرغبة في اكل الحلوى. لم يعلم بعلبة الشوكولا التي كانت تضعها في حقيبتها وتلك التي وزعت على الجميع بعد العشاء. بعدها تذكرت حديث دانييلا: «انها بخير، وكما تعلمين ... روس وجاي يهتمان بها.»

وبعد ذلك، تذكرت امراً لم يمر عليه وقت طويل، عندما دق روس على الباب بعد منتصف الليل عندما كانت تفكر بعملها. سألها عن فيكي اين هي، وكيف حالها.

اغمضت عينيها، كانوا جميعاً يشعرون بالقلق من ان تكتشف الامر، قلقوا ان تتمكن من اقناع فيكي بالعودة الى بلادها. لكنهم بحاجة لفيكي هنا ولا يريدونها ان تغادر.

من اين يجدون معلمة تريض ماهرة وراضية بالعيش هنا؟ معظم الممرضات هن نساء عاديات يرفضن العيش في اماكن مقفرة ويطلبن الحياة العادية كالذهاب الى المتاجر لشراء الاطعمة والى صالونات الشعر لتصفيف شعرهن وفيكي لا مشاعر لديها نحو الاشياء النادرة وهي سعيدة بشعرها الذي تقصه في صالون في الهواء الطلق.

انهم يريدون فيكي حيث هي تماماً. في اوبالابي. شعرت ساشا بأن غضبها يتزايد وشعرت بغصة في حلقها تكاد تخنقها. شعرت وكأن حرارتها ترتفع. تبأ له روس غرانت!

عليها ان تخبره ولن تنتظر عودته الى منزله، انها بحاجة لتعبر عن غضبها الآن. وهو يقوم بجولته المعتادة عند الثامنة ولقد رآته يتجه نحو المستشفى قبل ذلك الوقت.

انتظرت في غرفة الاطباء بينما ذهبت ممرضة لتبحث عنه. كانت متوترة جداً ولا تستطيع الجلوس، لذلك اخذت تذرع الغرفة ذهاباً واياباً. لم تنتظر طويلاً. حتى دخل روس الغرفة، وهو يرتدي روب الجراحة الاخضر، فشعرت وكأن قلبها يقفز في صدرها كم يبدو جذاباً وهو يرتدي ثوباً فضفاضاً من ثياب مهنته. كان يبدو قويا، وكان هناك سؤال في عينيه.

قال: «صباح الخير، أديك مشكلة؟»

قالت بضيق: «نعم.»

بدا الاهتمام في عينيه وقال:

«اتشكين من امر ما؟»

شدت على يديها وقال:

«نعم.»

ضم يديه الى صدره ووقف منتظراً:

«اذا تكلمي.»

«لقد اكتشفت اخيراً لما كنت قلقاً بسبب اقناعي لفيكي كي تعود الى الولايات المتحدة. لم استطع ان

اتصور لما تعتقد انه بإمكانني القيام بذلك، حسناً، لقد علمت الآن!»

رفع حاجبه مستفهماً وقال: «حقاً؟»

بذلت مجهوداً لتبقى هادئة وقالت: «انها تعاني من مرض السكري.»

قال ببرودة كالثلج: «نعم انها كذلك.» بالطبع، مع كل الامراض الاستوائية التي يعالجها هنا، فهو يرى السكري مرض عادي وممل ولا شيء يدعو للاهتمام.

قالت: «كان عليك اخباري!»

رفع حاجبيه بسخرية وقال: «كان علي اخبارك؟ انني طبيبها. وانا لا اناقش صحة مرضاي مع الغرباء بدون موافقتهم، ومهما يكن، لقد قلت لفيكي رأيي كطبيب انه من الافضل للجميع التحدث عن المرض. واقترحت عليها اخبارك، لكنها لم ترغب بذلك. فلا شأن لي لاخبارك مع عدم رغبتها بذلك.»

«كان عليك ان تطلب منها العودة الى ديارها!»

نظر اليها بسخرية مرة ثانية وقال: «هل هذا رأيك كطبيبة اختصاصية؟»

«انت لا تريدها ان تذهب، اليس كذلك؟ تريدها ان تبقى هنا بسبب انانيتك! انك حقير!»

اظلمت عيناه منذرة بالخطر. تقدم خطوة نحوها، لكنها لم تتراجع. بقيت مكانها وحدقت بوجهه، لن تسمح له بأن يخيفها بسبب حجمه.

ساد صمت ثقيل بينهما، قال بعد قليل بصوت ناعم

وخطر: «هل تقولين لي انني استغل اخلاقي الطبية لأمر أريدها؟ هل تنتقدين عملي الطبي؟»

قالت بصوت مرتجف: «نعم.» واستدارت متمنية انها لا تزال تتصرف بطريقة واثقة وخرجت من الغرفة. ما الذي ستفعله الآن؟ لقد هدأ غضبها بعد مرور عدة ساعات... واخذ شعور جديد يحل مكان الغضب احساس غريب ومليء بالمرارة.

لم يكن روس الطبيب المتفاني والمسؤول الذي كانت تعتقده. انه يستغل فيكي، كان عليه ان يبعدها الى بلادها. رأياها فيه قد تبدل، انها الآن تراه بمنظار جديد كمنظرتها لانا من الكريستال قد كسر.

عادت فيكي بعد ظهر ذلك اليوم، ومن تعابير وجهها علمت ساشا انها غاضبة جداً، قالت وهي تحاول السيطرة على غضبها: «لقد ذهبت الى روس.»

«هل اخبرك بذلك؟»

«لا، لم يفعل. لقد رأيتك تخرجين من غرفة الاطباء وعلمت من طريقة عودتك ما الذي حدث بينكما. لا يحق لك القيام بذلك.»

«اعتقد انهم غير جديرين لعدم ارسالك الى بلادك!» لمعت عينا فيكي بالغضب وكأنهما تطلقان النار وقالت: «لقد تركوا الخيار لي! وهذا كان قراري! وقررت البقاء لانه لم يكن هناك من سبب لارحل.»

«كيف يمكنك قول ذلك؟»

«واين سأكون بأمان اكثر من هنا؟ انني ممرضة واستطيع الاعتناء بنفسني. واعمل طوال النهار في المستشفى حيث هناك طبيبان يهتمان بي ويراقبانني

وكانهما صقيرين. هل تعتقدين ولو للحظة واحدة ان جاي او روس سيسمحان لي بالبقاء لو كنت اعرض نفسي للخطر؟ كيف يمكنك حتى التفكير بذلك؟»
لم تنتظر فيكي جوابها، خرجت من البيت من دون ان تتناول الغداء.

بقيت ساشا طوال فترة بعد الظهر تفكر فيكي، وبحدس دنيز ان هناك شيئاً ما يقلقها. لم تخبر فيكي امها انها مصابة بالسكري، لكن احساس الام اعلمها بما يجري.

واستمرت كلمات فيكي تتردد في فكرها. والآن بعد ان تبخر غضبها وعاد اليها المنطق والتفكير الصحيح بدأت تتساءل ان كانت بالغت برد فعلها بسبب اهتمامها فيكي. فالذي قالته فيكي منطقي جداً. فأين يمكن ان تكون اكثر اماناً من هنا مع طبيبين لديهما اهتمام خاص بصحتها.

« هل تعتقدين ولو للحظة ان كلاً من جاي او روس يسمحان لي بالبقاء هنا لو كنت اعرض نفسي للخطر؟»

بدأت تشعر وكأنها غبية جداً بسبب كلامها مع روس هذا الصباح، وندمت على ازعاجها لفيكي.

لم يكن من الصعب عليها ان تتصالح مع فيكي عندما عادت بعد ظهر ذلك اليوم.

فهي لا تحب ان تكون غاضبة وتفضل ان تعيش بسلام وحب وفرح. اما الاعتذار لروس فلن يكون امراً سهلاً ابداً.

أه، تأوهت ساشا ودفنت وجهها بين يديها. كانت تجلس على حافة سريرها تستجمع شجاعته. انتهى وقت العشاء وروس في منزله الآن. عليها ان تذهب لرؤيته وان تقوم بما عليها القيام به كأى انسان ناضج ومسؤول.

واخيراً، الحق هو الحق. وهي تدين له باعتذار. فقد قالت له بكل تحديد، انه ليس جديراً بمهنته، ولم تتهمه بطريقة مبطنه وهذا امر لا ينسى بسهولة. ما تحتاج اليه الآن هو قليل من الكرامة. نهضت عن سرير ووقفت امام المرأة.

نظرت إلى ثيابها، كانت ترتدي بنطالاً اسود وقميصاً حريرياً بلون العسل.

وجدت شالا طويلاً فوضعتة على خصرها. مشطت شعرها ورفعت ذقنها وخرجت من الغرفة. سارت نحو بيته ودقت على الباب.

فتح الباب بنفسه. كان يرتدي بنطالاً باهت اللون وقميصاً ملوناً. لم يظهر على وجهه اى مشاعر وهو ينظر اليها، قال ببرودة: «بماذا يمكنني ان اخدمك؟»
قالت: «احتاج الى طبيب.»

رفع حاجبه وقال: «لا عمل لدي الآن، ويسعدني ان اعاينك عند الصباح.»

«لا استطيع الانتظار.»

«فهمت، الامر جاد، اذا.»

لم تبعد نظرها عنه وهي تقول:

«نعم.» لا يمكنه ان يبعدها الآن.

اشار نحو كرسي وقال:

« حسناً، ادخلي واجلسي.»

جلست، كان منزله مشابهاً لمنزل فيكي. وطاولة الطعام في نهاية الغرفة مليئة بالاوراق. لا بد انه كان يعمل.

جلس على كرسي امامها ولف ذراعيه على صدره، قال: «اذا ما الامر؟»

تنهدت بعمق وقالت: «انني اعاني من حالة حادة من تعذيب الضمير.»

هز رأسه ببطء، وكان الموضوع لم يفاجئه، قال: «فهمت.»

هذا كل ما قاله، وهذا يعني انه لن يساعدها.

فهو يريد ان ترتبك وتخجل. ربما تستحق ذلك.

مهما يكن، فالخجل والارتباك ليسا من مميزات شخصيتها، وقد تحاول تجنب ذلك ان استطاعت.

قالت بنعومة: «هل لديك اي دواء قد يساعدني؟ او اي نوع من ترياق ما؟»

قال: «لا.»

لا تسير الامور بشكل جيد، قالت: «انت طبيب،

ليس من المفترض ان تسألني عن العوارض التي

تنتابني؟»

سأل بهدوء: «ما هي العوارض التي تشعرين بها؟»

وضعت يدها على صدرها وقالت: «ألم في الصدر،

واحساس بالضييق في معدتي، ألم في رأسي. كما

وانني استمر في اطلاق اسماء غير مستحبة لنفسي.»

هز رأسه وقال: «أمر طبيعي.» ونهض عن الكرسي.

قال: «انتظري.» واختفى لعدة دقائق عاد بعدها وهو

يحمل كوبين من الشراب. اعطاها واحداً وقال: «قد يساعدك هذا قليلاً، لكن لسوء الحظ، ليس بالدواء الشافي، لكنه يريحك قليلاً من العوارض.»

قالت: «شكراً.» ورشفت رشفة من كوبها وتنهدت

بعمق بعدها استجمعت قوتها ونظرت اليه في عينيه،

قالت: «اريد ان اعتذر عن كلامي هذا الصباح وعلى

تهجمي على مبادئك العملية.» كان قلبها يخفق

بعنف حتى شعرت بالخوف انه يكاد ان يسمعه «لم

يكن من داع لكلامي وانا نادمة لفقداني اعصابي

ولرؤيتي للامور.»

وهكذا، لقد قامت بما عليها، وقد فعلت ذلك بطريقة

ناعمة ولطيفة، ايضاً كفتاة ناضجة. اخذت رشفة

ثانية من كوبها، لكنها لم تتمكن من بلعها فأخذت

تسعل وتساقط الشراب على ثيابها. وضعت محرمة

في حضنها وسمعت روس يضحك بصوت عال.

حسناً، هذا ما حدث لكرامتها. مسحت وجهها ووضع

الكوب والمحرمة على الطاولة، من دون ان تنظر اليه.

ساد الصمت بينهما، كانت تنظر الى الحائط، عليها

ان تنظر اليه عاجلاً ام آجلاً، وهذا ما فعلته، لتراه

مازال يبتسم وهناك مرح واضح في عينيه.

قال: «لديك مستوى رفيع، خالتي، حقاً.»

«اصمت، ولا تناديني خالتي! لقد اعتذرت لك وكل ما

تفعله هو ان تضحك!»

عضت على شفتها، لكن بعدها ضحكت هي ايضاً

«اعتذارك مقبول، كيف تشعرين الآن؟»

«شفيت تماماً. انك تفعل العجائب.»

« يسعدني ان اتمكن من خدمة احد ما، حتى ولو في هذه الساعة المتأخرة.»

نهضت وهي تقول: « اقدر لك ذلك، ارسل لي الفاتورة، دكتور.»

فتح الباب لها وقال: « انها في المنزل.»

وقفا قرب بعضهما، وهما ينظران الى بعضهما، وفجأة لم تعد تستطيع الحركة.

للحظة ساد الصمت بينهما وشعرت بأن الهواء بينهما اصبح قليلاً. لمع شيء ما في عينيه، وكأن صراع ما في داخله، بعدها ضمها اليه وقبلها.

ابتعدت عنه وقالت: « من الافضل ان اذهب، عمت مساء.»

« عمت مساء.»

تنفست بعمق وهي تسير نحو منزل فيكي، متعجبة مما حدث بينهما. لا شك ان روس انسان مميز رفعت فيكي نظرها عن الكتاب الذي كانت تقرأه عندما دخلت ساشا الغرفة.

قالت: « الى اين ذهبت؟ لقد اعتقدت انك اختفيت؟»

« آه، انا ... ذهبت الى روس كي اعتذر منه.»

« استغرق الامر كل هذا الوقت.»

جلست ساشا على الكرسي ورفعت كتفها وقالت: «لقد تناولنا الشراب ايضاً.»

قالت فيكي باستغراب: « وكيف حدث ذلك.»

« اين العجب في ذلك؟»

« لا شيء، غير انكما لا تتحدثان مع بعضكما كما وانكما لا تمضيا الوقت برفقة بعضكما البعض الا اذا

كنتما مجبران على ذلك. هل ارى ان هناك نوعاً من التوافق والتفاوض بينكما؟»

نهضت ساشا عن كرسيها وقالت: « لما لا تتابعين قراءة كتابك.»

ضحكت فيكي بصوت عال.

لم تر ساشا روس في اليوم التالي. ولقد افتقدت رؤيته وهو يمر امام نافذتها وهي تتناول القهوة عند الصباح. واعترفت انها اصيبت بخيبة امل. لا بد انه ذهب الى المستشفى في الصباح الباكر. ربما بقي طوال الليل مستيقظاً يفكر فيها، ولم يتمكن من النوم، ولذلك غادر باكراً.

وفي فترة الظهر توفقت امام المستشفى متمنية ان تراه، لا بد انه عمل غبي وخال من النضج، لكنها لم تنجح برويته فعادت الى المنزل وهي تشعر بخيبة الامل. انها غارقة في الحب، من دون اي شك. ولا حاجة لها لانكار ذلك، فهي تشعر بالقلق والفرح معاً.

انها تحب روس، تحب نظراته وابتسامته وشعره المتساقط على جبينه. تحب صوته الحنون وابتسامته الهادئة. تحب ان تستمع الى قصصه، والى ان تراه في معطفه الابيض، او حتى ذلك المعطف الاخضر الفضفاض. والآن بعد ان عرفت هذه الحقيقة، تريد ان تطور هذا الوضع.

ومع مرور الايام، بدأت تشعر بأنها تزداد حزناً. فلا شيء في تصرف روس يوحي لها انه متأثر بوجودها بأي طريقة ما. فعندما يكونان معاً، كان يعاملها

بطريقة عادية كما يعامل الآخرين. لا يبتسم لها ولا يمسك بيدها او شعرها. فمن الواضح انه لم يعترف لنفسه انه يريد لها. احساسها يخبرها انه لم يفعل وانه لن يحاول التودد اليها. لكنها تريده ان يفعل.

لم يكن من السهل عليها ان تعترف بذلك، فهي ليست معتادة الا على رجال يظهرون مدى اهتمامهم بها بينما هي لا يكون لديها اي اهتمام بهم. وهذا ليس جيداً لصورتها لنفسها، والامر اسوأ بالنسبة الى قلبها. كانت تستلقي على سريرها في الليل، غير قادرة على النوم، تفكر وتفكر بمشاعرها نحو روس، متسائلة ما الذي ستفعله. فهي لا يمكن ان تفهمه. لديه كل تلك العاطفة، ويبدو انه مصمم على التصرف ببرودة متظاهراً انه لا يهتم بها.

حتى في وضوح النهار حيث يكون العمل شاغلها وهي تحاول ان تحقق خطة عملها، كانت تفكر فيه بصورة مستمرة. مرت الايام ولم يحصل اي شيء جديد. كانت تصرفاته تتسم بالصدقة واللفظ، وهذا نوع طفيف من التقدم. لقد بدا وكأنه تخلى عن محاولة التخلص منها وهذا ما جعلها ترتاح اكثر وربما عليها ان تنتظر بعد. حسناً، اي خيار آخر لديها؟

بدأ عملها بالتقدم والسير على وتيرة سريعة. وجدت عدة نساء ماهرات بالخياطة ولديهن الرغبة في اتباع تعليماتها وتعلم الخياطة كما تريدها هي. ذهبت ساشا لرؤية جو وزوجته بسبب قدومهما الى البلدة لاحتفال تقليدي في منزله الرائع وطلبت

مساعدته. ومع رغبته في تحسين اوضاع اهل بلده، كان جو اكثر من مساعد لها. فلديه الكثير من العلاقات والاتصالات. وخلال يومين تعرفت على اخته المتعلمة والطموحة لتعمل معها، كانت تيمًا فتاة شابة جميلة وكانت راغبة في وضع مواهبها في العمل. ستهتم بكامل الاعمال عندما تغادر ساشا البلاد. وكانت هذه خطة رائعة للاستمرار.

كما كانت هناك الامور القانونية، كون ساشا غريبة عن البلاد. من رخصة العمل والامور القانونية كي لا تتعرض للملاحقة القانونية ودخول السجن. وهنا ايضا، كان جو اكثر من مساعد. وقعت الاتفاقات وكانت الامور تسير بشكل رائع.

قدم لها جو المزيد من المساعدات، بذلك تستطيع ان توصل الثياب الى مكتبه في اكرام، وهو من سيعمل على شحنها الى الولايات المتحدة حتى تصل بنظام وطريقة افضل. كما انه عمل على شراء ست ماكينات للخياطة وأمن نقلها الى اوبالابي.

وصلت البضاعة من بعد ظهر احد الايام في شاحنة، بينما كان روس يعود الى منزله من المستشفى.

قال روس، وهو ينظر الى السائق يفرغ حمولة الشاحنة: « ما هذا؟ »

قالت على الفور وهي تبتسم:

« ماكينات للخياطة. »

« ولماذا؟ »

« لكي نخطي بها. »

« ما الذي تفعلينه؟ »

« لقد بدأت بإنشاء معمل صغير في البلدة بصناعة الفساتين والتنانير.»

« عمل صغير؟ هل فقدت عقلك؟»

« لا، لا اعتقد ذلك.» وابتسمت للسائق ودفعت له المزيد من المال المطلوب منها لمساعدته. ابتسم لها وقفز الى الشاحنة وغادر.

امسك روس بذراعها وشدها الى داخل المنزل، حتى كاد يوقعها فوق اكوام من الثياب المختلفة من الفساتين والقمصان والتنانير. توقف وكأنه لم يعد يستطيع الحركة، محققاً بالالوان المختلفة المرمية على الارض، وما زالت يده تضغط بقوة على ذراعها. قال بصوت منخفض لكن بغضب شديد: « ما الذي يجري هنا؟»

« لقد تعاقدت مع اثني عشرة امرأة لمدة ستة اشهر وبوقت محدد لخياطة الثياب. لقد كنت متضايقا لانني لا افعل اي شيء ذو قيمة في حياتي، لذا فكرت من الافضل ان افعل شيئا مفيداً.»

« وما الذي ستفعلينه بهذه الثياب؟»

« سأبيعها في الولايات المتحدة.»

نظر حوله وقال: « تعرفين تماماً كيف تستثمرين المال.»

« هذه الامور تجري في دمي، كما يقولون لي.»

« اذا كان لديك عمل ناجح في بلادك فهذا لا يعني انه يمكنك القيام بعمل مماثل هنا.»

اذا هو يعلم عن محلها لا تري شيك بوتيك انتيك. حسناً، انه رجل ذكي. ومن المحتمل انه تصور

انها ليست تماماً كما يفكر بها ولذلك قام ببعض التحريات عنها.

« اذا لم اجرّب، لن اكتشف ذلك، اليس كذلك؟»

وضعت بعض الثياب في صندوق وامسكت بكومة ثانية من الثياب.

قال: « هل تعلمين عدد المشاريع التي تفشل كل سنة كمشروعك هذا؟ وهل تعلمين ماذا سيحدث لهؤلاء النسوة عندما تغادرين بعد انتهاء مشروعك؟»

« لقد فكرت بالامر، طبعاً.»

« ما الذي ستقولينه لهن عندما تغادرين؟ لقد خسرت بالعمل، شكراً لكن، وانا راحلة الآن؟» تابع بغضب وصوته قاس جداً: « الا تفهمين ما الذي تفعلينه؟ انك ترفعين التوقعات هنا! وهن سيعتمدن على هذا الدخل متوقعات ان ذلك سيستمر! لقد تصرفت بانانية وجشع على حساب هؤلاء النساء.»

نظرت اليه بغضب وقالت بعصبية: « ربما لست بكل هذا الغباء حتى لا افهم ذلك. ربما حان الوقت لتعتبر انني املك فكراً خلاقاً ورؤية.» تابعت بصوت منخفض وهي تنظر في عينيه: « ربما لا اخطط للرحيل.» او على الاقل لفترة بعد.

فهي لن تغادر حتى تتأكد من ان تيمما تستطيع استلام زمام الامور مكانها.

ضحك بسخرية وقال: « آه، ستغادرين... كوني متأكدة من ذلك. قد يكون الامر تسلية ومرح لك الآن، لكن لن يستمر هذا طويلاً، صدقيني.» استدار وخرج من الغرفة.

لماذا يكرهها؟ نظرت الى الثياب المكومة امامها ورأت الالوان تمتزج مع بعضها. جلست على الكنبة، مرهقة وهي تحاول ان لا تبكي. لما تبكي بسهولة عندما تفكر فيه؟ ولما تشعر بالشوق دائما لتكون بقربه؟

ذهبت الى منزله بعد العشاء تلك الليلة لتسأله عن قصة كانت تريد قراءتها. وهذا عذر كي تراه، ولم يكن لديها تخيلات انه لم يفهم ذلك. فالذي تريده هو جواب لسؤال طالما عذبها منذ فترة طويلة. قالت عندما فتح الباب: «كنت اتساءل ان كنت انتهيت من كتاب كلانسي.»

قال: «اجل، ادخلي سأحضره لك.»

وقفت في غرفة الجلوس بينما دخل الى غرفة النوم. قدم لها الكتاب ولم يقدم لها دعوة للجلوس او لشرب شيء ما. شعرت على الغور انه غير مرحب بها. حددت بالكتاب محاولة ان تستجمع شجاعته، بعدها رفعت نظرها ونظرت الى عينيه وقالت: «قل لي...» شعرت فجأة وكأنها لا تملك الشجاعة لتتابع حديثها.

فان طرحت السؤال، فانها ستحصل على الجواب، وقد لا يعجبها الجواب.

حسناً، انها فتاة ناضجة، ويمكنها تحمل الجواب. رفعت كتفيتها وتابعت: «قل لي، لماذا تكرهني الى هذه الدرجة؟»

لم يتحرك لفترة وكان السؤال قد فاجأه. نظر اليها

واللحظة رأته عاطفة غريبة ظهرت على ملامح وجهه. اليأس؟ الخوف؟

لا بد انها تخيلت ذلك. رمشت بعينيها. وعندما نظرت ثانية اليه، كان وجهه بارداً وهادئاً ولا يظهر اي ملامح.

قال: «انا لا اكرهك.»

الفصل السادس

« إذا ماذا لديك ضدي؟ فأنت تعلم انني لم احاول اقناع فيكي بالعودة الى الولايات المتحدة، فاذا ما الامر؟ »

قال: « انت لا تنتمين الى هذه الحياة هنا؟ »

« ومن انت لتقول لي انني لا انتمي للحياة هنا؟ »

بدا تعباً جداً، هكذا فجأة، قال: « ستحترقين، ستملين من هذا المكان. وستبدأين بكره كل شيء وبعدها ستغادرين. »

هزت كتفها وقالت: « وان يكن؟ فأنا انسانة حرة. »

« لما تبحثين عن خيبة الامل؟ عن الاوهام؟ وفري على نفسك ألم القلب وغادري طالما المغادرة مازالت متوفرة وتسعدك. »

وقفت من دون اي حركة، ولمعت خواطر من الشك في فكرها، بعدها قالت:

« خيبة الامل والاوهام هما جزءان طبيعيان في الحياة. والتعرض للمخاطر وتجربة امور جديدة هما الحياة كلها. فأنا لا استطيع ان اعيش حياتي وانا خائفة من ان اتعرض لخيبة امل او اذى. لا اريد ان اعيش حياة فارغة كقطعم الفانيلا، اريد حياة بطعم الشوكولا المليئة بالكريما والبندق. »

ظهرت ابتسامة غير متوقعة على زاوية فمه وقال بنعومة: « الشوكولا بالكريما والبندق؟ واين ستجدينها في هذا المكان؟ »

ابتسمت له وقالت: « آه، انها هنا، اذا عملت بقوة، يمكنك ان تجدها. »

« وعندما تنتهي هذه الحلوى؟ »

« لا تدعهم ينتهون، بل تجد المزيد، وتصنع المزيد، وهذه هي الحيلة للسعادة في الحياة. »

« وماذا اذا سئمت من حلوى الشوكولا بالكريما والبندق؟ »

« لم اعرف بحياتي احداً سئم من هذه الحلوى. »

لم يظهر اي تعبير على وجهه، وكأن قناعاً كان يخفي افكاره وعواطفه.

تابعت كلامها: « انت تعلم عما اتحدث، وانت تماماً لست الرجل الذي يعيش حياة لا طعم لها. لقد خاطرت كثيراً لتقوم بما تفعله حالياً. »

جمدت تعابير وجهه وكأن لا احساس فيه، قال: « صدقيني لقد دفعت كثيراً ثمناً لذلك. » ادار ظهره لها وكأنه قرر ان ما قاله اصبح كافياً. نظرت الى ظهره وهي تتساءل ما الذي يفكر فيه.

لقد قال لها: « لما تبحثين عن خيبة الامل؟ » فربما عملها لن ينجح، وهذا بالطبع سيسبب خيبة امل، ليس فقط بالنسبة لها ... وفي الواقع هذا الامر لن يزعجها كثيراً، فبامكانها العودة الى بلادها والبدء بعمل جديد هناك. اما خيبة املها الحقيقية ... فهي في عدم تمكنها من المساعدة ولو لعدد قليل من الناس هنا.

نظرت الى ظهر روس، والذي كان يبدو متوتراً جداً وتساءلت ما الذي كان يقصده وما الذي لم يرغب

بقوله، مع ان الجواب كان واضحاً، لكنها لم تستطع ان تتحمل كل هذا التوتر.

قالت بهدوء:

« لن اغادر، انني مستعدة لتحمل المخاطر.»

استدار بعنف، قال وعيناه تلمعان: « حسناً، انا لست مستعداً.» امسك بكتفيها ونظر في عينيها، رأت شيئاً مخيفاً في عينيه ... الالم والخوف وهذا ما لم تره من قبل.

همست: « انت ماذا؟»

« انا لست مستعداً لتحمل المخاطرة.»

شعرت وكأن ساقبيها ترتجفان، لقد كان جوابه واضحاً جداً. تحركت شفتيها، لكنها لم تستطع ان تتكلم.

قال بصوت قاس: « كل الامور سهلة عليك، اليس كذلك؟ جميلة ودائماً تضحكين وتشعرين بالمرح والجميع يحبك. وبعدها ينتهي هذا المرح كله وترحلين. عندما يأتي الشتاء، او في اواخر السنة مع الرياح العاصفة، حيث كل شيء يختنقه الغبار والرمال، وفجأة ينتهي المرح والسعادة هنا وترحلين. ستحزمن حقائبك وانت تشعرين بالقرف، لانك تكرهين هذا المكان، ولأن الامور لم تسر كما تشائين وكل شيء قذر ولا يمكنك تحمل ان لا تتناول وجبة شهية بين الحين والآخر او ان لا تتسوقين في ساكس او بلومنغدايل ولقد اصبت بالجنون من السأم، فلا هناك تلفزيون ولا يمكنك ان تفهمي لما ادفن نفسي في هذا المكان لان لا

شيء سيتغير ولو بعد مئة سنة ولما اضيع وقتي هنا؟»

صرخت به: « توقف، روس، توقف عن هذا الكلام.»
بدا وكأن الحياة قد غادرت وجهه، كانت عيناه جامدتين ولا تعابير على وجهه الا الفراغ. رفع يديه ومررهما في شعره وادار ظهره لها ثانية.
قال بصوت عادي: « ارحلي، فقط ارحلي ودعيني بمفردي.»

حدقت به وهي تشعر بمزيج من الخوف والغضب، وكذلك بالتعاطف معه. فلا بد ان ألماً كبيراً قد انفجر في داخله وجعله يفقد كل سيطرة على نفسه.
جزء منها يطالبه باعتذار. اما الجزء الآخر فكان يطالبها بالمغادرة وتركه بمفرده وهذا ما قامت به.

اخيراً علمت الحقيقة، لقد تركته زوجته لانها لم يعجبها العيش في اوبالابي، وكل التصرفات الغاضبة التي كان يقوم بها نحوها هي ببساطة بسبب الاشياء التي قامت بها زوجته. لقد شعرت بالملل في العيش هنا وتركته.

ولا يرغب روس الآن ان يغرم بها لأنها ستغادر وترحل ايضاً، لذلك يريد لها ان ترحل قبل فوات الاوان. فالامر بسيط، بل في غاية البساطة.

سألت فيكي في الليلة التالية وهما تتناولان العشاء: «هل تحدث روس او شخص آخر عن زوجته؟»

هزت فيكي رأسها وقالت: « لم اسمعه يوماً يتحدث

عنها، لكن نورا قالت شيئاً على أنها كانت دائماً تشعر بالملل وتذمر ان ليس هناك من شيء تستطيع القيام به.»

قالت ساشا: «لا اشعر بانك تشفقين عليها.»

هزت فيكي كتفيها وقالت: «ربما ليس من العدل ان نحاكمها. اقصدي، لقد حدث ذلك منذ عدة سنوات، وانا لم اقابلها يوماً، لكن كيف يمكنها ان تقول ان لا شيء هنا تستطيع القيام به؟ فهناك الكثير للقيام به، حتى انه يشوش الافكار. فها انت، لقد فكرت بعمل شيء ما خلال اسابيع قليلة!»

ورفعت صحن الاناناس لتضع قطعة منه في صحنها وتابعت: «تريدين واحدة؟»

سكبت ساشا لنفسها بعض الفواكه واخذت تفكر بكلام فيكي.

لكن فيكي تابعت، وكان موضوع زوجته قد نسي بالكامل: «عيد مولد روس الاحد القادم، سنحضر له حفلة وندعو الجميع، عادة نورا تقوم باعداد الحفلات، لكنني اخبرتها بانني احب المشاركة.»

لقد عادت عائلة برانسكون منذ فترة قصيرة، وهي محملة بالثياب الجديدة والطعام الشهي.

تابعت فيكي: «سنقيم الحفلة في منزلهم لانه اوسع. كما وان دانييلا ومارك سيكونان هنا في نهاية الاسبوع. وربما سنتمكن من الرقص.»

رأت ساشا كل الاحتمالات هنا في عيد مولد روس. حفلة ورقص. لا يمكنها ان تتخلى عنه، كيف يمكنها ذلك؟ لا يمكنها ان تقبل بوضع لا يحتمل. عليها ان

تبرهن له ببساطة انه يمكنها ان تبقى سعيدة في اي مكان، وانها لن تجبن وتهرب لانها تريد التسوق في بلومينغدايل وانها لا تصاب بالرعب عندما تتكسر اظافرها ويزيل الطلاء عنها.

بطريقة ما عليها ان تظهر له ان عواطفها نحوه حقيقية. وعليها ان تجد نفسها معه بوضع حيث يتخلى عن هدوئه المصطنع. لقد رأت القناع عن وجهه يسقط ثلاث مرات. فهو يريد ما كما تريده، لكنه لا يعترف بذلك.

قالت لفيكي: «اذا، لننتفق على ما سنفعله.»

وهذا ما حصل، سافرت ساشا وفيكي الى اوغادوغو وتجولتا في المتاجر المليئة بالبضاعة الفرنسية. امضتا الليل في فندق الاستقلال وسبحتا في مسبح داخلي وتناولتا عشاء فاخراً في محيط مليء بالثراء الفاحش، وكل ذلك على نفقة ساشا.

قالت فيكي: «امر ضروري ان يأخذ المرء عطلة قصيرة كل فترة ليجدد نشاطه.»

في اليوم التالي، وبينما كانت فيكي في المستشفى، عملت ساشا على تحضير الطعام والحلوى بمساعدة سامو المرححة، والتي تمتعت جداً بتذوق الاطعمة المختلفة كالدرّاق الذي احبته كثيراً.

وصل مارك وزوجته دانييلا في صباح نهار الاحد واستقرا في منزل بارنسكون، الذي كان مزيّناً بالبالونات والاوراق الملونة. قالوا، انهما شعرا بالفرح لاستقبالهما مع ان هذه الزينة ليست لهما.

قالت دانييلا لساشا وهما تتناولان الغداء ان عائلة

بان بروكس سترحل قريباً لمتابعة رحلتها الى تيمبكتي وتابعت: «فهما سيذهبان لرؤية الصحراء الكبرى، او جزء قليل منها.»

لقد اخبرهم مارك بانهما سيزوران مشروعاً ضخماً حيث يتم حصد الانتاج.

قالت دانييلا: «لا استطيع الانتظار لرؤية تيمبكتي، قالوا لي ان الجمال تتجول في الطرقات.»

تأثرت ساشا، فهي تعلم ان تيمبكتي مكان مميز فعلاً، لكن في الواقع انها بلدة في الصحراء، وهي تراها امامها على الخريطة. شعرت بالغيرة من رحلتها تلك.

قالت: «اخبريني عن تلك الرحلة، فربما سأذهب الى هناك يوماً ما.»

ضحكت دانييلا وقالت: «لقد تفاجأت لرؤيتك انك مازلت هنا. لقد اعتقدت انك غادرت منذ زمن.»

«احببت هذا المكان. ودعتني فيكي للبقاء فأنشأت عملاً صغيراً واحب ان اراه يثمر ويزدهر.»

وبعد الانتهاء من الغداء عرضت ساشا الثياب الجاهزة للشحن الى اكرام على دانييلا فاعجبها العمل،

هزت رأسها وبدأت بالضحك وهي تقول: «لا استطيع الا ان افكر كيف وصفك روس ... خالة عانس عجوز

تعمل في متجر للثياب المستعملة وها انت هنا فاتنة وذكية وتجدين عملك. لا بد انه حصل على مفاجأة

حياته.»

قالت ساشا من دون ان تفكر: «انه لا يريدني هنا، ولا يستطيع الانتظار حتى يتخلص مني.»

حدقت بها دانييلا بعينين كبيرتين متفاجئتين: «وما الذي يجعلك تفكرين هكذا؟ ولماذا يريدك ان ترحلي؟»

«لا يريد ان يتورط بالارتباط بي.»

عضت دانييلا على شفتها وهزت رأسها مفكرة وقالت: «وهو يخشى ان يحدث ذلك.»

«نعم.»

«ربما يتوقع ان ما حدث في السابق مرة قد يحدث ثانية.»

ضغطت ساشا على يديها وقالت: «انا لست زوجته! لها. وانا منزعة لانه يعاملني وكأنني مثلها،

وكانني سأفعل ما فعلته! حتى انني لا اعرفها!»

نظرت اليها دانييلا مستفهمة وسألته بنعومة: «انت تحببته اليس كذلك؟»

تنهدت ساشا وقالت: «وهل يمكن ان اكون اكثر غباء؟»

«لا علاقة للذكاء او الغباء هنا. وان كان يستحق الامر، فانت تملكين من الشجاعة اضعاف ما تملكه

انجيلا في عمرها كله، وانت على الاقل جميلة مثلها وتهتمين بمظهرك، و...» توقفت دانييلا عن الكلام

وهي تبسم.

«وماذا؟»

امسكت دانييلا بيد ساشا وقالت: «واظافرك جميلة وانيقة مثل اظافرها.»

قالت ساشا بحزن: «امر مريح حقاً.»

«اني أسفة، لم اقصد ان ابدو وكأنني اتهكم. لكن لدى

انجيلا شيء خاص يتعلق بالازافر. وهذا يقود اي كان للجنون.»

«حسناً ليس لدي شيء ضد الازافر وسأقصرهم وانزع عنهم الطلاء اذا كان هذا ما يزعجه.»

هزت دانييلا رأسها وقالت: «ليست المشكلة عندك، المشكلة معه. كوني صبورة. انه رجل ذكي، وربما سيرى سخافة ما يقوم به وينتبه لك.»

«هل كنت تعرفين زوجته جيداً؟»

«لقد تعرفت عليها لفترة قصيرة، ولقد غادرت بعد قدومنا الى غانا. امضيت مرة طوال فترة بعد الظهر وانا اصغي لتذمراتها وحزنها، لانها تعيش في مناطق بدائية. لقد عاشوا لفترة في غينيا الجديدة، ولقد فهمت منها، انه كان لديهما طائفة صغيرة، فكانت تسافر باستمرار الى هونغ كونغ وسيدني لتعيش فترة في وسط الحضارة والمدنية. ولقد ازدادت الحياة صعوبة في اوبالابي، فليس من السهل الوصول الى المطار، كما تعلمين. وفي احد الايام حزمت حقائبها ولم تعد.»

«اني متأكدة انه لم يتحمل الامر ويتقبله.»

هزت دانييلا رأسها وقالت: «ليس بطريقة جيدة.»
عندما وصل روس الى العشاء تلك الليلة، نظر متعجباً الى كل الزينة الجميلة والمميزة، قال: «لا اصدق ما اراه.»

ضحك الجميع، وبدأوا بالاحتفال بعيد مولده وكان العشاء ناجحاً جداً.

اكل الجميع كالذئاب الجائعة من الطعام الشهى ...

المقبلات الشهية والمختلفة الانواع، البفتاك المشوي والبطاطا المشوية مع الكريما والسلطة مع جبنة روكفورت اما قالب الحلوى فكان تشيز كيك.

قالت فيكي: «ساشا فعلت كل هذا.»

رفع روس حاجبه متعجباً وسألها: «اتذكر انك قلت لا تجيدين الطهي؟»

ابتسمت له وقالت: «لقد كذبت.»

بعد ان تناول الجميع القهوة، فتح روس علب الهدايا التي احضرها الجميع كالكتب وزجاجات العطر، تفاح طازج وقميص ملونة. اما ساشا فقد وجدت الهدية التي تريدها، صندوق من الشوكولا بالبندق والكريما، يمكنك ان تحصل عليها، حتى ولو كنت هنا.

رفع نظره والتقت عيناه بعينيها، ابتسم ابتسامة صغيرة وقال: «شكراً لك، انظروا الى هذه شباب، هدية حقيقية.»

همست دانييلا في اذن ساشا وهي متفاجئة: «شوكولا؟»
همست ساشا: «حاولت ان اكون مرحة، فالرجل بحاجة الى بعض المرح والحيوية في حياته.»

ضحكت دانييلا وقالت: «اعتقد انك محقة. فالرجل دائم الحزن، وانا سعيدة لان احداً ما يحاول ان يجعله يستعيد مرحة السابق.»

كانت فيكي قد احضرت بمساعدة كل الضيوف مزيجاً من الموسيقى الراقصة والاغاني الشعبية والالمان من ايام الستينات. وضعت آلة التسجيل وانفتحت الرقص هي وجوشن في غرفة الجلوس،

والتي كانت قد افرغت من المفروشات. وبعد فترة قصيرة تبعهما العديد من الضيوف.

نظرت ساشا الى الشرفة حيث وقف روس ومارك يتحدثان. رأت دانييلا تقترب منهم وتمسك بزوجها ليأتي معها الى باحة الرقص. وقف روس ونظر حوله، فالتقت عيناهما. رآته يتجه نحوها.

قال: « اترغبين بالرقص؟ »

قالت: « نعم. »

قال وهما يرقصان: « شكراً لك على العشاء الرائع، فالحصول على كل هذه الاشياء ليس بالامر السهل هنا. »

قالت بمرح: « لديك عيد مولد مرة واحدة في السنة ، وبما انني اعرف ما هو طعامك المفضل، فلم استطع المقاومة. »

ابتسم ابتسامة كبيرة وهو يقول: « والشوكولا، امر نادر وجوده هنا. »

نظرت في عينيه وقالت: « اذا كنت تريد حقاً شيئاً ما فأنت تفعل المستحيل لتحصل عليه. » وابتسمت محاولة ان تجعل ملاحظتها عادية، لكنها بالطبع لم تكن كذلك، ومن المؤكد انه يعرف ذلك.

سألته وهي تتمايل على انغام الموسيقى: « متى كان آخر مرة رقصت فيها؟ »

رفع كتفيه وقال: « لا اذكر، لا لست متأكداً. ربما السنة الماضية، في سانت بارلو، وهي جزيرة صغيرة في الكاريبي. »

« في جزيرة الكاريبي؟ وماذا كنت تفعل هناك؟ »

« كنت عائداً الى بلادي، وازور بان بروكس. فهما بمضيان شهرا من السنة هناك. فوالد مارك يملك منزلاً على الشاطئ، كما وان منظمة الصحة شيدت مستشفى صغير للتعليم في الجزيرة وارادت رؤيته. مهما يكن، كانت هناك حفلة كبيرة ورقصنا. »

« من الاف الجزر، يبني صاحب منظمة الصحة مستشفى للتدريس في ذات الجزيرة التي يملك فيها بان بروكس منزلاً؟ »

« أه، ليس الامر صدفة. فوالد مارك رجل عمال فاحش الثراء وهو وياكس اصدقاء قدامى. »

« ومن هو باكس؟ »

« التيس الكبير الذي يدير منظمة الصحة. » هزت رأسها وقالت: « البليونير الذي لديه رؤية خاصة بالحياة. »

« تماماً. »

« وهل احببت جزر الكاريبي؟ »

قال انه احبها، فالطقس رائع وجزيرة سانت بارلو جميلة. وهناك الكثير من الامور للتسلية كصيد السمك، السباحة والابحار والغطس ايضاً.

شعرت كأن المكان مثالي، سألتها ان كانت قد زارت مرة جزر الكاريبي؟

فقالت لا، لقد امضت عدة اشهر في ادغال مكسيكو. اما ما تبقى من رحلات قامت بها فهي اما الى كندا او اوروبا، وتلك تجارب لا علاقة لها بالطبيعة وبالحياة البسيطة والهادئة.

استمرت الاغاني تتوالى حتى توقف عن الرقص

وامسك بيدها ليأخذها الى الخارج، قال غاضباً: «لا اريد ان احبك او ارغب بك ... تبا.»
 قالت: «لا تتصرف هكذا، انت تعاملني وكأنني غريبة رأيتها للمرة الاولى.»
 قال: «اني أسف.»
 «أسف ولماذا؟»

«ان اسبب لك الازى. انا لا انكر ان هناك مشاعر وعواطف بيننا لكن اريد ان تدركي ان هذا لن يقودنا الي اي ارتباط.»
 «أه، فهمت، علي ان اشكرك على صدقك، بدون شك. انت مغرور، روس.»

انزعج من كلامها وقال: «لا يتعلق الامر بك بل كل هذا يعنيني. لا اريد ... افضل ان لا ... اتعلق بك.»
 قالت بصعوبة:

«أسفة انك تشعر هكذا.» وابتعدت عنه وعادت الى منزلها.

وكل الذي كانت تسمعه ويتردد صدها في اذنيها كلماته: «لا اريد ان احبك او ارغب بك، تبا.»

ذهبت الى قسم العيادات عند الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي، وهي تحمل اعلانات للتغذية كانت قد رسمتها بالوان مشرقة.

رأت فيكي الطلاب وقد اعجبين جميعاً باللوحات وعملن على تعليقها.

قالت فيكي ما ان ابتعدت عن اللوحة لتتنظر اليها من مكان بعيد: «رأيت روس في مزاج سيء هذا الصباح،

ماذا تعتقدين حصل ليلة البارحة؟ لقد احب الحفلة، اليس كذلك؟»

فتحت ساشا فمها ثم اغلقتة ثانية، بعد قليل قالت: «لا اعرف.» لكنها شعرت بمرارة الكذب على لسانها، فهي تعلم تماماً لماذا روس بمزاج سيء، انه يفكر كثيراً بسهرة البارحة.

سمعت صراخ طفل وهي تسير عبر ممر الخروج. وعلمت ان الصراخ أت من غرفة للمعاينة حيث بابها مازال مفتوحاً. وبطريقة لا ادارية نظرت الى الداخل وهناك رأت روس بمعطفه الابيض، يحمل ولداً صغيراً في حضنه، بينما الام تقف بقربه متوترة وخائفة.

توقفت وهي تراقب روس يهدىء الطفل. لم تكن تستطيع رؤية مما يعاني الطفل ... فلم يكن هناك اثار للجروح. سمعت صوت روس، يتحدث بلغة القبيلة، كان صوته ناعماً ومشجعاً. بدأ الطفل يهدأ، فابتسم روس له، وكان وجهه مليئاً بالحنان والاهتمام.

شعرت بغصة في حلقها ووقفت مكانها تحديق في وجهه. امتلأت عيناها بالدموع فأجبرت نفسها على الابتعاد والعودة الى عملها.

مرت الايام في تعاسة وحزن. فقد كان تصرفه نحوها عادياً ورسمياً جداً. تمننت لو انها تعلم كيف تخترق الصدفة القاسية التي يلف نفسه بها ليتصرف بهذه الكلفة.

«لا اريد ان احبك» كانت تلك الكلمات كنثرات من الزجاج داخل صدرها وكانت دائماً تشعر وكأنها

تتأرجح بين الغضب والالام. انها بحاجة لنصيحة، لكن ليس هناك من احد يستطيع تقديم النصح لها. ليس هناك اهل، او محلل نفساني او حتى صديق مقرب. تمنى لو ان هناك مكتبة مليئة بالكتب التي تساعد المرء على حل مشاكله. ككتاب عنوانه « ما الذي تفعليه مع رجل لا يريد ان يرغب بك.»

قبل كل شيء، هي بحاجة الى جواب صريح وصادق لسؤال ان كانت تريد ان يريد لها هذا الرجل الذي لا يرغب بها ولا يريد لها. والجواب نعم. انها تحبه.

اذا ربما السؤال الذي يجب ان تسأله لنفسها هو: لماذا هو لا يريد لها؟

وهي تعلم الجواب مسبقاً، فلانية لديه ليعاني من تجربة مرة فاشلة كعلاقته الزوجية السابقة. فهو متأكد انها سترحل، وبكل الاحوال، لا يمكنها ان تتعامل مع حبه كعمل وكأنها بذلك تبحث عن المشاكل. فكيف يمكنها اقناعه انها لن ترحل وتتخلى عنه؟

تأوهت وهي تشعر بألم في رأسها. فكل هذا التفكير يسيء الى صحتها ولا يفيد لها بشيء. والحب من طرف واحد يسبب المرض للناس. تجهم وجهها من مجرد التفكير بالامر. لكن هناك فكرة لمعت في بالها، ربما لو انها تمرض حقاً وبذلك ستنتهي في المستشفى حيث يكون هو الطبيب المعالج، ولن يتمكن من شفائها بوسائل الطب التقليدي، فالطريقة الوحيدة كي تشفى هو ان يحبها.

تأوهت ثانية، فلا بد انها ستصاب بالجنون او انها مريضة حقاً.

كانت ساشا تجلس في غرفة الجلوس تقرأ تلك الليلة عندما لفت انتباهها صوت ما ... هدير شاحنة على الطريق تقترب منهم. تجهم وجهها ونظرت الى ساعتها. في تلك الساعة؟ لقد قاربت الساعة العاشرة. وفي هذا الوقت، تكون البلدة كلها نائمة، ما عدا هؤلاء الناس الذين يسهرون في ناد بعيد قليلاً عن البلدة.

نهضت ونظرت من النافذة، رأت شاحنة ركاب تقف امام منزلها. من يعقل ان يكون؟ خرج من الشاحنة رجل ما، لكن الظلام كان شديداً ولم تتمكن من معرفته او تمييزه. فتحت الباب وهي تضيء الضوء الخارجي ورأت الرجل تحت الضوء مباشرة.

شعرت وكأن فمها قد فتح فضغطت بيدها لاقفاله، سألت وهي لا تصدق ما تراه: «ريتشارد؟ هل هذا انت؟»

الفصل السابع

قال ريتشارد بمرارة: «بل ما تبقى مني..»
 لم تستطع ساشا ان تحدد به. فلا يعقل ان يكون وجوده حقيقة. فهذا امر مستحيل. فهي لا تصدق ان الرجل الذي يقف امامها هو ريتشارد. فهي بالكاد تميزه. كان مليئاً بالغبار والعرق يتصبب منه وشعره اشعث... وكل ما يتعلق بمظهره الخارجي من نظافة واناقة قد تبخرت في هذا المحيط القريب عنه. فهي لم تره مرة واحدة مغبر او شعره غير مصفف ومرتب. ضحكت، لم تستطع الا ان تضحك، قالت: «آه، ريتشارد، لا استطيع التصديق ان هذا انت!» وحتى تلك اللحظة، ادركت ان هناك شخصاً آخر وراه. كان رجلاً عجوزاً، اصلع الرأس مع بعض الشعر الاجعد على اطراف رأسه. كان ضعيفاً ومستقيم الجسم كالرمح. ويرتدي بنطالاً واسعاً قصيراً وقميصاً حمراء اللون وحذاء رياضياً والذي يبدو كالقارب في ساقيه النحيلتين. كان يبدو وكأنه ممثل هزلي.

قالت: «أسفة، لم ارك.»

ضحك الرجل، وهو ينظر اليها عن كثب وقال: «لم تخسري الكثير بعدم رؤيتي.»
 وربت على كتف ريتشارد وتابعت: «اذا كنت بخير الآن، بني، ساذهب لاجد لنفسى سريراً لاريح عظامي قليلاً.» استدردت وسار مبتعداً.

حدقت به متعجبة ومتسائلة، اين سيتمكن من ايجاد

سرير هنا؟ لقد غادرت الشاحنة والليل يلف المكان.
 «الى اين يذهب؟»

قال ريتشارد وهو يدخل: «وكيف لي ان اعرف؟ انه غريب الاطوار، لقد هرب من مستشفى المجانين.
 ويقول انه يملك المستشفى هنا.»

راقبت ساشا الرجل يقترب من منزل روس. طرق على الباب الامامي وقال:

«روس! افتح الباب لي.»

ابتسمت واغلقت باب بيتها. فلدى روس زائر ايضاً.
 جر ريتشارد حقيبته الى داخل ورمى بنفسه على الصوفاء، ارخى رأسه الى الوراء وتنهَّد بعمق، قال: «يا للهول، لقد كنت خائفاً ان لا اجدك ابداً.»

«حسناً، ها قد فعلت، لكن لماذا اردت رؤيتي؟»

فتح عينيه ونظر اليها، قال: «لا اعتقد انني انيق كفاية لتقبليني.»

«انت انيق جداً ولكنني لن افعل.» فلا الغبار ولا القذارة هي التي تبعتها عنه، ريتشارد اصبح من الماضي الان. وهي تعلم، انه من الصعب عليه تقبل ذلك.

وكم هذا الامر صعب، اصبح واضحاً لديها الآن.
 فريتشارد لا يسافر الا بالدرجة الاولى ولا ينام الا في افخم الفنادق حيث الخدمة مؤمنة طوال الوقت.
 وما هو الآن قد تحمل مشاق السفر الى ادغال افريقيا ليراها. لا بد انه يانس.

ويانس جداً، حتى انه يعتبر نفسه مدمراً. نظرت اليه فهو يبدو مرهقاً.

ذهبت الى المطبخ واحضرت له كوباً من الشاي المثلج ليستعيد نشاطه.

اخذ الكوب بامتنان وشربه على الفور، قال بضيق: «لا استطيع تصديق وجود مثل هذه الامكنة، لم استطع ان اصدق انني سأبقى حياً حتى آخر النهار.»

«كيف وصلت الى هنا؟»

«سافرت الى التاميل، او مهما كان اسم تلك البلدة البائسة، على متن طائرة قديمة. وكان باكس على متنها ايضاً.»

«باكس؟» اين سمعت ذلك الاسم من قبل؟ بالطبع! روس قد ذكره امامها. فباكس هو البليونير الذي يملك منظمة الصحة. ولا يشبه الرجل الذي رآته منذ قليل، اي بليونير رآته. لم تستطع الآن ان تضحك وهي تفكر في بنطاله القصير القذر وساقيه الرفيعتين.

شرح لها ريتشارد: «المعتوه باكلي، اعتقد ان هذا اسمه، لكن الجميع ينادونه باكس، كما يقول. مهما يكن، لم اتمكن من ايجاد وسيلة نقل للوصول الى هنا. فلا وجود لحركة طيران، ولا مجال لاستئجار سيارة، كما ان وسيلة النقل الوحيدة وهي الشاحنة قد غادرت، بعدها اتى باكس الي وسألني الى اين وجهة سفري. عندها قال لي انه قادم الى هنا وعمل على نقلنا في تلك الشاحنة المخيفة. جلست لعدة ساعات بين امرأتين تطعمان اطفالهما. كما كان هناك شخص لديه معزاة على سطح الشاحنة. لا بد انني مت ولست على قيد الحياة.»

قالت وهي تحاول ان لا تضحك: «لا تقلق، لا احد يهتم.»

سألها: «تعتقدين ان كل ما يحصل امر مسل؟»
«بالطبع، ريتشارد، مسل جداً. والآن قل لي لماذا انت هنا؟»

«لا بد انك تعرفين لماذا. انني قلق عليك.» حاول جاهداً ان يخفف من آلام مفاصله، ونظر اليها محاولاً ان يستجمع شجاعته وثقته بنفسه، قال: «في الحقيقة، انني مهتم بك كثيراً.»

«اه؟ لا افهم ما تعني.»

«لقد كنت بانتظارك كي تعودني، وهذا ما لم يحدث،»

«لماذا كنت بانتظاري؟ انت تعلم ان لا نية لدي بالعودة اليك، فخطوبتنا كانت غلطة. بل غلطتي انا... وانا اتحمل كامل المسؤولية، لكن انتهت تلك الفترة.»

«افهم ما تشعرين به. ادرك انني قلت لك كلاماً ... غير مقبول و...»

اغرب ما سمعته طوال هذه السنة، قالت: «يمكنك ان تعيد ذلك الكلام ثانية.»

اصبحت تعابير وجهه اكثر حزناً، قال: «عليك ان تفهمي انني كنت تحت ضغط شديد عندما فسخت خطوبتنا، وقد ألمني ذلك.»

قالت: «افهم ذلك.» فلا رغبة لديها كي تتجادل معه لكنها تابعت: «لكن مهما كنت تأمل بقدمك الى هنا فهذا لن يحدث، ريتشارد.» شعرت وكأن الغضب يسيطر عليها مجدداً، فلقد اتى الى هنا من دون اي دعوة، حتى انه لم يقل لها انه قادم. وهي لا تريده

هنا وهي جاهزة لتقول له ذلك بكل وضوح، لكن رؤية وجهه المرهق جعلها تقرر ان تتعاطف معه، على الاقل لفترة قصيرة. فغداً يوم آخر.

قال: «احتاج ان أكل، فأنا جائع جداً وكل ما اكلته طوال النهار الفستق والموز. لا اعلم ماذا هناك في تلك الاطعمة المطهوهة على الطرق.»

قالت: «سأرى ماذا يمكنني ان احضر لك.» ونهضت لتدخل المطبخ. لم يكن هناك الكثير من الطعام في البراب، قليل من اللحم الناعمة وخضار مطبوخة. حسناً، ان كان جائعاً، فسيأكلها. سكبت الطعام في صحن واحضرته له.

كان لا يزال مرتمياً على الصوفا وكأنه لا يستطيع الحراك، قالت: «خذ.» واعطته الصحن.

نظر اليه مشككاً وقال: «ما هذا الطعام؟» قالت بسرعة: «انه طعامنا، فنحن هنا لا نتمكن من الحصول على السلمون المدخن.»

لم يعلق بكلمة وبدأ يأكل. قالت: «لقد وضعتني في مأزق حرج، فلا فكرة لدي انك قادم وانا لا املك سريراً جاهزاً لك.»

قال وكأنه لا يصدق: «لا سرير؟ لقد سافرت وجبت نصف العالم لارك وانت لا تجدين سريراً لي؟ انني متعب واعاني من ارهاق السفر وبحاجة ماسة للنوم.»

«ربما لم تلاحظ ذلك لكنك لست في الهلتون. انه منزل من خشب صغير جداً وهناك غرفتا نوم لفيكي واحدة والثانية لي. وليس هناك اكثر من سرير صغير في كل

غرفة. ربما تستطيع النوم على الصوفا، وسأجد غداً من ينقلك الى (ارتاح بسلام في مكان السلام)

فتح عينيه بشدة وقال: «الى اين؟» عضت على شفتها كي لا تضحك وقالت: «الى ارتاح بسلام في مكان السلام، ألم اذكره لك، اذا لا تلومني. لديهم اسرة هناك، ورخيصة جداً. واذا كنت محظوظاً فقد يعمل المحرك وتجد ان هناك كهرباء، لكن لا تعتمد على ذلك.»

نهض متضايقاً وقال بغضب: «اسمعي، كل هذا...» اذكرت على الفور وقالت: «لا! انت اسمعني جيداً! لا ترفع صوتك! فيكي نائمة وهي بحاجة للراحة. وان لم تتحمل النوم هنا فيمكنك النوم في الخارج مع الحشرات والافاعي.»

فرك عينيه بقوة، ورمى بنفسه ثانية على الصوفا وقال: «حسناً، حسناً.»

فيما بعد، وبينما كانت ساشا مستلقية على سريرها، اخذت تفكر بوضعها الجديد، فالامر ليس مسلياً. آه، تبا، ما الذي سأفعله الآن؟ انها بحاجة لكتاب آخر: «ما الذي تستطيعين القيام به مع رجل يريدك وانت لا تريدين ان يريدك.»

مرّ روس عند الصباح لرؤية فيكي، كانت تشرب القهوة مع ساشا بعد ان انتهيتا من تناول الفطور. قال: «باكس هنا، وان رأيت رجلاً اصلع يتجول في المستشفى ببنتال قصير وواسع، فهذا هو.»

لمعت عينا فيكي وقالت: «لم اكن اعلم انه قادم.» «لا يمكن ان تعلمي متى يأتي، فقط يسقط فجأة

امامك. لقد وصل البارحة الى منزلي الساعة العاشرة. وهكذا عادة اعلم بوصوله.»

قالت ساشا: «لقد اتى على متن شاحنة البارحة. اعتقدت ان الاثرياء لديهم طائرتهم الخاصة بهم.»

رفع روس كتفيه وقال: «لديه عدة طائرات، لكنه احياناً يحب السفر في وسائل النقل المحلية. يقول هذا يبقيه على اتصال بالواقع.» نظر الى ساشا وتابع: «لا يمكنك ان تضعيه ضمن اطار محدد، فلا شخصية محددة له. انه يتحدى كل الاوصاف.»

غادرت فيكي الغرفة لتستعد للذهاب الى عملها بينما دخل ريتشارد وهو يرشف رشفة من فنجان القهوة، والاستياء والانزعاج بار على وجهه.

قال لساشا: «هذه القهوة كريهة.»

اجابت بمرح: «اذا، لا تشربها.» ولكن على الرغم من غضبه كان يبدو رجلاً وسيماً وقوياً. نظرت الى روس، وللحظة، رأت الغضب في عينيه. الغضب؟ لا بالطبع لقد اخطأت فيما اعتقدته.

نظرت الى وجهه بامعان اكثر، لكنها لم تجد اي تعابير. كان وجهه خالٍ من اية تعابير وهو ينظر الى ريتشارد.

للحظة قصيرة اعتقدت ان هناك العديد من الاحتمالات لحضور ريتشارد المفاجيء.

ربما هذا سيدفع روس للتعبير عن عواطفه، ربما تحت ذلك التهديد الواضح سيجبر على الافصاح عما يشعر به نحوها. الغيرة، ربما، لكنها لا تستطيع الاعتماد على ذلك.

مهتما يكن، طالما ان هذا الوضع المثالي قد اوجد نفسه وبدون اي رغبة من قبلها، فلا بد انها تشعر بالرضى لما يحصل.

روس يغار. لا يبدو لها ذلك معقولاً، لكن هذا ما يحدث في القصص العاطفية يواجه البطل رجلاً آخر يتقرب من البطلة، فيدرك كم هو مغرم بها، وبعد صراع عنيف، يعلن عن حبه وعاطفته.

عرفت الرجلين على بعضهما ووقفت جامدة. رفع ريتشارد كتفيه اكثر ونظر الى روس بكبرياء. كان رجلاً طويلاً، لكنه ليس بطول روس، وشعرت ساشا انه لم يشعر بالرضى لوجوده بقرب رجل يبدو افضل منه. بدا عليه القلق، وهذا لا يدفع احد للغيرة منه. تبخرت آمال ساشا بسرعة فمازال وجه روس خالٍ من اي تعابير.

قالت بصوت عادي محدثة روس: «قلق ريتشارد بشأني.» وراقبته اكثر، لم تر شيئاً جديداً. كان يتكئ الى الحائط ويلف ذراعيه على صدره، بكل هدوء وراحة.

بعدها لاحظت يديه فقفز قلبها. لم يكن هادئاً ومرتاحاً كما يبدو عليه كان يضغط بقوة على يديه. قال ريتشارد: «لقد طال غياب ساشا وقد شعرت بالقلق عليها، لذلك رأيت من الافضل ان احضر بنفسى لأراها.»

عضت ساشا على شفتها وتذكرت كيف وصل ريتشارد البارحة فقد اثار شفقتها اكثر من اعجابها. رفع روس حاجبه وقال: «مهتم لأمرها؟»

قال ريتشارد بعصبية: « واعتقد انه حان الوقت لاعيدها معي الى الولايات المتحدة.» عضت ساشا على اسنانها وبعدها رأت وجه روس فلم تعد تستطيع التنفس. كان يبتسم وابتسامته عريضة ايضاً.

سأل روس: « هذا صحيح؟ »

قال ريتشارد: « نعم، لقد حان الوقت لتنسى كل هذا الكلام الفارغ وتعود معي.»

قال روس ببطء وهو مازال يبتسم: « فهمت، لكنني اخشى انك ستصاب بخيبة امل كبيرة واعتقد انك لا تعرف ساشا جيداً.»

شعرت من كلامه وكأنها قد تسمرت مكانها. للحظة شعرت وكأن ابتسامته دليل فرح لرويتها تغادر. لكن لم تعد الامور واضحة كما كانت، مع ان الحقيقة واضحة ان روس يستمتع بفكرة ان ريتشارد سيتمكن من دفعها للرحيل.

لم يكن ريتشارد سعيداً بما قاله روس، فلقد شعر بتهديد مباشر. لمعت عيناه بالغضب، وقال: « لقد عرفتها منذ وقت طويل قبلك، دكتور!» وحاول ان يبدو اكثر وقاراً وحزماً.

ابتعد روس عن الحائط وقال: « حسناً، هناك فرق شاسع بين معرفة ومعرفة.»

تابع وهو يحني رأسه: « اتمنى لك امضاء وقت مريح.» وسار مبتعداً تاركاً ريتشارد مشتتلاً من الغضب.

نظر اليها واضعاً يديه على خصره وقال: « هل لديك اي علاقة به؟ »

« لا شأن لك بحياتي الخاصة. والآن لنتناول

الغطور وبعدها سأجد من سيقلك الى منزل الراحة.» « هل هذا افضل ما يمكنك القيام به؟ »

رفعت كتفيها وقالت: « افضل ما يمكنك القيام به، ريتشارد ان تستقل الشاحنة وتعود الى بلادك. فقدومك الى هنا منتهى الجنون. الا ترى ذلك؟ »

تنهد بعمق وقال: « اعتقد انك مصابة بمس ما، ساشا.» نظر حوله باشمئزاز واضح من الغرفة المليئة بالكتب والمجلات القديمة وتابع: « اي شخص عاقل يحب العيش في مكان كهذا؟ »

« ان اردت الحقيقة، اشعر انني افضل مما كنت عليه منذ وقت بعيد.»

كانت هذه الحقيقة فهي تشعر بأنها مليئة بالطاقة والفرح. فهي تعلم ما الذي تريده. تريد ان تبني عملاً ناجحاً هنا وان تساعد سكان القرية. كما وانها تريد روس.

نظرت ساش الى ريتشارد عبر الطاولة الكبيرة، فلم يكن سعيداً البتة. كان الجميع مدعواً في منزل كريستين لتناول العشاء ولقد دعي هو ايضاً. في ذلك اليوم اقلته الى منزل الراحة، حيث نزل في غرفة صغيرة فيها مروحة ووعاء ماء للاستحمام. لاحظت انه مرهق وكان يتكلم من دون انقطاع وكأنه يبحث عن التعاطف لوضعه، مع انه لا احد يشعر بذلك الشعور نحوه. كان الجميع يصغي باهتمام لباكس، الذي كان ايضاً على العشاء ومرتدياً بنطالاً قصيراً وقميصاً مزركش الالوان.

ولدى باكس الكثير من القصص عن الناس وعن الحياة والافاعي وقصص مليئة بالرعب واحيانا بالفرح ايضاً. وكلما توقف عن الكلام، كان يكمل ريتشارد كلامه محاولاً ان يلفت نظر الجميع اليه.

كان يبدو على روس انه يستمتع بما يشاهده. فلقد كان يراقبها ويراقب ريتشارد وعلى وجهه ابتسامة ما. كانت متأكدة انه لا يشعر بالغيرة مطلقاً. وكيف سيفعل ذلك وريتشارد يتصرف كالأحمق. وهذا ما يعرفه روس وهي ايضاً.

فكرت وهي تنظر ناحية روس. تبأ، لما يجب ان تكون الحياة معقدة هكذا؟ لما لا تكون علاقتهما بسيطة وواضحة؟

فهي تحب البساطة والوضوح وتحبه وتريده ان يحبها ايضاً. تريده ان يمسك بيدها ويسيران معا وعلى وجهيهما نظرات وردية اللون.

ومن الواضح ان روس لا يريد شيئاً من كل هذا ولا يريد لها، وهذا ما يجعلها تتألم وتغضب. شعرت برغبة ملحة للتخلص من كل هذا الاحباط والقائه على احد ما. على ريتشارد مثلاً. ولو انها تستطيع لكانت ركلته على رجله من تحت الطاولة.

نهضت لتحضر المزيد من المياه المثلجة من المطبخ، فمرت امام كرسي ريتشارد.

همست في اذنه: «ريتشارد، توقف عن هذا الازعاج. انت تتصرف كالأحمق.»

لم يعر اي انتباه لكلامها، وبعد العشاء، امسك بها فجأة وشدها نحوه.

قال: «الا تلاحظون ان كل نساء هذا العصر مصابات بالعصاب؟ وكل الذي يريدونه منك هو المال والمال فقط.»

همست: «ريتشارد توقف عن ذلك.» وحاولت ان تبتعد عنه وهي تنظر نحو روس، وللحظة رأت الغضب على وجهه. فلقد كان يتسلى بتصرفات ريتشارد الحمقاء لكن ان يمسك بها فهذا شيء مختلف.

ابتسم ريتشارد وتابع: «لكن ليس ساشا. فلديها عقل مخطط وتعلم تماما ما الذي تريده. انها امرأة حقا. فهي لا تغضب ولا تصدر الأوامر ولا تطلب. فقط تسير على منهاج واضح ترسمه وهي دائماً سعيدة.» نظر الى الجميع وكأنه يريد ان يجمع الانظار حوله وهو يتابع: «موهوبة جداً وذكية ايضاً. صدقوني من المهم ان تحظى بامرأة مستقلة هذه الايام، قادرة على الاهتمام بنفسها، وهي قادرة بالفعل. فلقد تمكنت من صنع ثروة بخلال ست سنوات. ولا اعرف لماذا تخلت عن عملها.» تابع جملته الاخيرة وهو يكاد ان يبكي: «بعدها قالت انها لا تريد الارتباط بي وفسخت الخطوبة.»

هزت ساشا كتفه وقالت: «كفى، ريتشارد، توقف عن هذا الكلام السخيف.»

امسك ريتشارد بيدها وقال: «احتاج اليك، ساشا، عودي معي الى اميركا.» نظر ثانية الى الجميع وتابع: «لدي حياة مثقلة بالهموم والاعمال. فصناعتني في تنافس دائم. وساشا الوحيدة التي تجعلني اوفق بين حياتي وعملي. كما ترون، انا

بحاجة لها.» اغمض عينيه وقال: «انني متعب ومرهق جداً.»

تطوع جوشن وفيكي لاصطحابه الى منزل الراحة، وهذا ما جعل ساشا تشعر بالراحة.

لكن هذا ما اجبرها على العودة مع روس وباكس.

قال روس بينما كانوا في الجيب بلهجة ساخرة: «حسناً، حسناً، هذا ما يسمى بالحب الحقيقي. لقد قطع كل تلك المسافات، وعانى اشد المعاناة ليعيدك اليه. أمر مؤثر فعلاً.»

علق باكس: «بل هذا ما يسمى هوس. تخلي عن الشاب، يا ابنتي. انه كثير العنين والانتحاب. لكنه قدم عنك لائحة من الصفات الجيدة. وانت تبدين كذلك في رأيي.»

قالت بنعومة: «شكراً لك.» فما الذي تستطيع قوله، لكنها تابعت: «ولقد قطعت علاقتي به، لكنه لم يرد ان يصدق ذلك. فلهذه رغبة في التملك ايضاً.»

قال باكس: «لن يبقى طويلاً هنا، لا بد انه سيغادر في غضون يومين.»

خفف روس سرعة الجيب واستدار نحو منعطف خطر، قال: «الا تشعرين انك سيئة لتركه ينزل في بيت الراحة؟»

سألته: «ولماذا؟»

«اعتقد الامر واضحاً. فهو لا يبدو من النوع الذي يستطيع الاستحمام في وعاء من الماء.»

«لا، انه ليس كذلك، لكن ربما سيتعلم شيئاً ما. لكن اهتمامك يدهشني، دكتور. عندما احضرتني من

المطار جعلتني امضي ليلتي الاولى على كومة من الصناديق في سيارتك هذه. حتى انني لم احصل على وعاء من الماء لاغسل وجهي. ولا اتذكر انني سمعت شيئاً من التعاطف حينها.»

ابتسم وهو يقول: «انت لست من النوع الذي يبحث عن التعاطف والشفقة، اليس كذلك؟»

«لا، فهذا النوع من الشعور لا يعجبني ابداً اثارته مع من حولي.»

«وبما ترغبين ان يشعر الناس نحوك؟»

قالت بوضوح: «الاحترام الشديد، والاعجاب الكامل بمنجزاتي وتقدير عميق لقدراتي.»

هزت كتفيها غير مبالية وتابعت: «لا اهتم مطلقاً بما يفكر به الناس نحوي.»

قال باكس: «رائعة. كما قلت لك انك امرأة حقيقية. روس، ولدي، لما لا تجرب حظك؟ انني ناضج وكبير جداً عليها، والا لكنت اخذت المبادرة بنفسي.»

قال روس بانزعاج: «انك في التاسعة والسبعين ومع كل ما لديك من المال، فهذا يعني انك مازلت شاباً.»

ضحك باكس بصوت عال وقال: «اذا هذا هو السبب. فأنا دائماً اتساءل ما الذي تراه كل هؤلاء الجميلات مع رجل عجوز اصلع مثلي.»

«بالطبع ليس جمال عينيك.»

ازداد ضحك باكس. مروا امام المتاجر المقفلة وعندما وصلوا الى حانة تصدح باصوات الموسيقى، قال باكس: «انزلني هنا، فأنا اشعر برغبة للقيام ببحث اجتماعي.»

وبدون اي تعليق اوقف روس الجيب فنزل باكس
واخذ يقوم ببعض التمرينات ليتمكن من الحركة
بسرعة اكثر.

سالت ساشا ما ان استأنفا المسير: «الا يشعر هذا
الرجل بالتعب؟»

«لا يؤمن بوجود التعب، وبالنسبة له، النوم يضيع
الوقت.»

«وكيف سيتمكن من العودة الى المنزل؟ الوقت
متأخر.»

«دائماً يجد وسيلة ما. كما وان المسافة لا تتعدى
الميلين. ربما سيقطعها سيراً وهو يغني.»

«يغني؟»

«انه دائماً يغني عندما يسير.»

ضحكت ساشا وقالت: «هل انت متأكد انه في التاسعة
والسبعين؟»

هز روس رأسه وقال: «وسيعيش ليصبح في سن المئة
والعشرين، او اكثر.»

لم يفاجئها تعليقه، لقد كانت تشعر بالراحة لانهما
يتحدثان معاً ببساطة. ولقد شعرت براحة كبرى
عندما وصلا الى المنزل.

وعلى الرغم من وجود ريتشارد وانزعاجها الدائم،
لم تتمكن من ان لا تفكر بروس في الايام التالية،
خاصة بعد ان نصحه باكس ان يهتم بها لأنها
جوهرة بين النساء، على قول باكس.

بعد ايام قليلة، وصل ريتشارد الى استنتاج عملي ان
حضوره كان امراً لا فائدة تترجى منه. واذا ارادت

ساشا ان تدمر حياتها، فلتفعل. لا يمكنه ان يبقى هنا
منتظراً ان تعود الى رشدتها. فمصنعه سيتوقف ان
لم يعد قريباً كما وان اسلوب الحياة في اوبالا يبي
لا يناسب لا عقله ولا جسده، فهو لا يشعر بأي
راحة في المكان الذي يقيم فيه. فهناك حشرات على
الجدران غير معروفة في علم الطبيعيات بعد. كما
وان نوع الطعام مشكلة بحد ذاته. فهو يريد البفتاك
والهمبرغر، وليس هناك اي شيء يشبه هذا النوع
من الطعام. وفي الليل حيث يبقى مستيقظاً بسبب
اصوات تلك الحشرات، مفكراً بالطعام الشهى. اخذ
يصف لساشا بشهية قصوى السمك المدخن وكبد
الدجاج وسمك الترويت المشوي والحلوى المصنوعة
من الشوكولا.

وهذا ما اثار غضبها فقالت: «اخرس، انت تثير
اشمنزازي.»

كان يعمل من غير قصد منه على فقدانها للصبر معه.
قال في اليوم الثالث من وصوله: «ماذا يفعل المرء

الحصول على قهوة الاكسبرسو هنا؟»

اجابت ساشا بغضب: «ينتظر معجزة.»

قال، بعد ان وضب حقييته: «سأعود الى بلادي.»

كذلك باكس قرر الرحيل بعد ان تأكد ان المستشفى
لعمل كما يريد تماماً. وكان سيسافر الى البرازيل الى
مجاهل الامازون حيث تم انشاء مستشفى وسيعمل
على مراقبة بدء العمل فيه.

تدبر باكس رحيله بسيارة جو المرسيدس قبل
ان ياتي ريتشارد اليه طالباً منه ان يذهب معه.

قال لروس وهو يودعه: «اعتقد ان عليك الاهتمام بها.»
واشار ناحية ساشا وهو يتابع:

« لن تجد الكثير من نوعها، صدقني لقد تعرفت على الكثير من النساء.»

شعرت باضطراب في دقات قلبها لكن روس اجابه بغضب: « اهتم بشؤونك الخاصة.» فضحك باكس رغماً عنه، فليس من السهل ازعاج شخص مثله.

قال: «روس، ولدي، اعتقد انه حان الوقت لتنسى تلك المرأة التافهة التي كنت متزوجاً بها. الا تعتقد ذلك؟ لقد مرّ وقت طويل. وآخر ما سمعته انها تزوجت من رجل من الارجننتين يتاجر بالمواشي.» استدار وصعد الى السيارة واغلق الباب وراه قبل ان يطلب من السائق الانطلاق.

لوح باكس من نافذة السيارة ورمى بقبلة لساشا. لوحته له وراقبت السيارة تختفي في عاصفة من الغبار ثم استدارت وسارت نحو المنزل. ولدهشتها لحق روس بها.

سأل بهدوء: «متى سيرحل ريتشارد؟»

«اعتقد في غضون ساعة، سيستقل الباص الى واي.» قال ببطء وهو يغلق الباب وراه: «اعتقد انه عليك القيام بعمل منطقي وان ترحلي معه وتتزوجي به، وان تنجبي طفلين جميلين فلقد أصبحت في الثلاثين من عمرك وحن الوقت لتفكري بمثل هذه الامور.»

حدقت به وهي تشعر وكأن قلبها يتمزق، قالت بغضب: «ارحل من هنا.»

كان عليها ان ترد عليه بكلام مضحك، كلام يجعله يشعر انها لا تهتم لما يقوله.

لكن لم يعد هناك اي مرح في داخلها ولا صبر ايضاً. شعرت بأن كلامه يؤلمها. حدقت به راغبة في ان تعيد الالم له، لكن وجهه الخال من اي تعبير جعلها تستدير وتتجه نحو المطبخ، لكنه تبعها الى هناك امسك بذراعها وادارها نحوه.

قال: «ما الذي تريدينه؟ هنا شاب قد لحق بك نصف الكرة الارضية ويعتقد انك تستحقين العالم كله. وانك رائعة وذكية. كما من الواضح ان اعماله مزدهرة وبامكانه ان يقدم لك حياة لائقة و...»

شعرت وكأن رأسها سينفجر، قالت: «لا حاجة به ان يقدم لي حياة لائقة! استطيع ان أومن هذه الحياة بنفسني! وهذا ما افعله! فنحن في القرن الواحد والعشرين!»

ابعدت يديها عنه واتكأت على الطاولة بيديها الاثنتين، محاولة ان تهدأ. تنهدت بعمق وقالت بصوت هادي:

«لا اعلم لما تفعل ذلك، روس!»

قال ببساطة: «اعتبريها نصيحة من صديق، فمن الواضح ان الرجل مغرم بك.»

«هذا الرجل مختل العقل! وانا لا اريده! لقد قلت له ذلك عدة مرات. لقد كان خطأ مني الموافقة على الخطوة منذ البداية. لنقل انه تصرف غير مسؤول ان كنت تريد ذلك. فأنا لا احبه!»

شيء ما في داخلها جعلها تشعر وكأنها ستفقد السيطرة على ارادتها، وكان قوة ما سيطرت عليها ووجدت نفسها تتكلم وتقول:
« انا احبك انت..»

الفصل الثامن

توتر روس لكنه ضحك ضحكة باردة وقاسية، قال: «نعم، لقد سمعت كلاماً كهذا من قبل.» شعرت وكأنها أصبحت باردة كالثلج، وبقوة لم تكن تدرك انها تملكها ، استجمعت قوتها وحركت يدها بطريقة لا مبالية وقالت بهدوء: « انسى انني قلت ذلك. فلست انا من تكلم، بل جزء مني مزعج وفي الواقع سأقنع هذا الجزء ان حبك ليس بالفكرة الجيدة.»

أصبح وجهه أكثر قسوة وقال بسخرية: « الحب، وما هو ذلك؟ رغبة في المغامرة؟ كل هذا مجرد مغامرة بالنسبة لك، اليس كذلك؟ حسناً شكراً لكنني لا اريد هذا الحب.»

شعرت وكأن اللون قد غادر وجهها، وشعرت ان كل قوتها قد انهارت.

قالت بهمس وهي تشعر بأن جسمها يرتجف من الغضب، وقد غطت الدموع وجهها: « ايها الوغد، حسناً، اذا كان هذا ما تريده. فليكن! يمكنك ان تدفن نفسك هنا في المستشفى وان تعيش بمفردك بقية حياتك وان تصبح الطبيب الماهر. واتمنى ان لا تعترض طريقك اية امرأة بعد اليوم ولا ان تقلق قلبك الضعيف. فأنت جبان، هل تعلم ذلك؟ تمنع نفسك من الاحساس والعاطفة لان امرأة واحدة رفضت ان تشاركك حياتها. انت خائف ان تحب وتخاطر

وتعيش الحب ثانية، لذا تخفي مشاعرك وتتظاهر بأنك سعيد. حسناً، انت لست سعيداً، روس. وكل من يراك يعلم أنك لست سعيداً! تنهدت بقوة قبل ان تتابع: «حسناً، ستحصل على امينتك. سأغادر، لكنني لست مغادرة لانني لم احب البقاء هنا او لانني اريد ذلك. انني راحلة لانك لم تترك لي خيار آخر. فلن ابقى هنا عرضة ... لاهاناتك.» استدارت وخرجت من الغرفة.

انها تفضل قطع العلاقات نهائياً ولا ترضى بانصاف الحلول.

في اليوم التالي انتقلت من منزل فيكي، لتغادر مخيم المستشفى، وتعيش في غرفة صغيرة في منزل الراحة حيث لا مجال مطلقاً ان ترى روس. لم تستطع ان تأكل او حتى ان تنام.

كانت تبكي وتبكي حتى اعتقدت انها ستموت من الجفاف. وكان وجهها يبدو متورماً من شدة البكاء. لم تكن على احسن حال عندما مرت دانييلا لرؤيتها. كانت هي وزوجها مارك في طريقهما الى تيمبكتو، لامضاء الليلة عند جاي ونورا.

« قالت لي فيكي انك هنا، أه، ساشا، تبدين بحالة مرعبة.»

انها فعلاً كذلك، ابتسمت ورفعت شعرها عن وجهها وهي تقول: «انها حالة مؤقتة، اعطيني سنة وسأعود الى ما كنت عليه في السابق.»

تنهدت دانييلا وجلست قريبا على السرير، قالت: «اني

أسفة، كنت أمل انك وروس ... ان تسير الامور بينكما بطريقة جيدة. كنت اتمنى فعلاً ان يجد روس رفيقة لحياته.»

« انه غير مهتم للامر.»

« كان يبدو لي في غاية الاهتمام بك في الحفلة الاسبوع الماضي ... من خلال نظراته اليك، وكيف كنتما ترقصان.»

قالت: « لا بد انها اجواء السهرة.» وابتسمت ابتسامة صغيرة.

مانقتها دانييلا قبل ان تغادر وهي تقول: « تعالي واسكني عندنا اثناء مغادرتك لأكرا، اتفقنا؟»

لم تحتاج ساشا الا لعدة ايام لتقوم بكل ما عليها القيام به لتتمكن من الرحيل الى الولايات المتحدة. كانت تيمما قادرة تماماً على ادارة العمل ولم تحتاج ساشا لشعور بالذنب لمغادرتها بشأن عملها. على الاقل لقد تركت شيئاً ما وراءها. شيء يستحق العناء، لكنه كلفها الكثير الكثير.

في اليوم السابق لمغادرتها، وصل جو مع سائقه بسيارة المرسيدس الرائعة. وعلى الفور اجتمع الاطفال حولها، فليس من السهل رؤية سيارة بهذا الجمال. كما ان جو بنفسه كان يبدو غريباً عن هذا المكان.

قال لها: « علمت انك مسافرة غداً.» اومأت برأسها، فلا بد انه تكلم مع شقيقته، قالت: « لقد حان الوقت كي اعود. واما بالنسبة للعمل، فسأكون هناك اكثر فائدة له من وجودي هنا. اريد ان اجد اماكن جديدة

لبيع هذه الثياب اذا رأينا ان بإمكاننا توسيع العمل هنا.»

نظر حوله الى الغرفة الصغيرة وقال: «لا يمكنك البقاء هنا، عودي معي الى منزلي وغدا صباحا سنذهب الى الكرا.»

وهذا ما حدث. لقد وصلت الى اوبالابي مع روس بجيب مليء بالغبار، وها هي تغادر مع جو بسيارة مرسيدس حديثة. لكنها لم تشعر يوماً بكل هذا اليأس والمرارة.

لم تتمكن من نسيان روس في الاسبوع التالية. كان دائماً يشغل بالها. فرحت كارولين كثيراً بعودتها واقنعتها بالعودة للعمل معها في ادارة لاتري شيك بوتيك. ولأنها لا تدري ما الذي ستفعله، وافقت ساشا على العودة الى العمل. كانت تصلها شحنة من الثياب من اوبالابي كل اسبوعين. فوجود جو الى جانبها سهل لها هذه المهمة.

كانت تفتقد لـ اوبالابي، مع انه ليس بالمكان المريح، لكنها استمتعت كثيراً بالاحساس بالجماعة والمشاركة التي تميز بها المكان. لقد استمتعت في رؤية الناس هناك، سوق النساء، الخياطات وكذلك القصص الكثيرة لسامو عن عائلتها.

في احد الايام وصلتها رسالة من فيكي تقول لها انها تفتقدها. وانها قد قررت الزواج هي وجوشن وتطلب من ساشان تجعل امها تفهم ان زواج ابنتها

ليس نهاية العالم، ولن يكون بأية حال انهاء علاقة الوالدة بابنتها. كتبت ان طبيباً جديداً وصل الى المستشفى، وان جاي اصبح المسؤول الاداري لأن روس سيغادر. لقد عرض عليه مركزاً جديداً كمدير لمستشفى تعليمي في الكاربيبي وقد شعر الجميع بالحسد منه. سيعمل على انشاء برنامج تدريب ممرضين وممرضات واطباء وكل فريق عمل المستشفيات للعمل في منظمة الصحة في دول العالم الثالث.

قرأت هذه الاخبار وهي تشعر وكأنها اصيبت بصدمة ما.

روس سيغادر اوبالابي. بدا لها انه انقطاع الاتصال الوحيد والاخير بينهما. فالآن لن تستطيع التفكير فيه في اجواء مألوفة. لقد غادر اوبالابي، وعليها ان تعترف لنفسها انها كانت تأمل انه سيرسل لها ويسألها ان تعود اليه. لانه يفتقدها ولانه قد اخطأ، ولأنه لا يستطيع العيش من دونها. وهذا ما لن يحصل.

فهو يستطيع العيش من دونها. كتبت فيكي: «كل شيء ليس كما كان بغياب روس.» حدقت ساشا بالرسالة وانهمرت الدموع من عينيها. بعد عدة ايام تلقت اتصالاً هاتفياً من دانييلا، والتي كانت تقيم عند والد زوجها في واشنطن في طريقها للعودة.

«سنبقى انا ومارك هنا حتى نهار الاحد بعدها سنطير الى سانت بارلو. سنقيم حفلة بسبب ذكرى

زواجنا للسنة الثالثة وفكرت في ان ادعوك للقدوم
وامضاء فترة اسبوعين عندنا.»

« في الجزيرة؟ »

« تماما. تذكري، لقد دعوتك من قبل. نحب كثيراً ان
يكون لدينا ضيوف.»

كانت دعوة رائعة. امضاء اسبوعين في جزيرة في
المناطق الاستوائية. لكن ان يصادف ان تكون هذه
الجزيرة سانت بارلو، تلك التي يعيش فيها الآن
روس. لن تتفاجأ ان علمت ان دعوة دانييلا فيها
شيء ما بالتحديد بهذا الامر.

سألته: « هل يعلم روس بدعوتك لي؟ »

قالت دانييلا: « لا. » وتنهدت بعمق قبل ان
تكمل: « حسناً، لدي دافع شخصي لقدمك الى سانت
بارلو. اعتقد انه أقدم على غلطة كبرى بالسماح
لك بالمغادرة، ساشا. اعلم انني افعل امراً مريباً،
بالتدخل بحياة الناس، لكنني اعترف لك الآن، وهكذا
انت تقررين. »

« اقرر ماذا؟ »

« اذا كنت تريدين القدوم ورؤيته ثانية، فلقد عرفت
روس منذ زمن طويل واعتقد انني افهمه جيداً. واسهر
من داخل قلبي ان هناك سوء ما بشأنه. »

شعرت ساشا بأن يدها ترتجف وهي تقول:
« ما الذي قاله لك؟ »

ضحكت دانييلا وقالت:

« لا شيء، فانت تعرفينه. انه ليس بالرجل الذي
يتكلم عن نفسه مطلقاً. وهو يخفي الكثير من

العاطفة وراء هذا المظهر البارد والمسيطر.»
قالت: « نعم، لاحظت ذلك. » وبدأت الافكار والمخاوف
تدور في خاطرها. ان ذهبت الى سانت بارلو سترى
روس ثانية، وهذه فكرة حمقاء. ففي النهاية، فلقد
قال لها بوضوح انه لا يريد لها بقربه. واي شجار
جديد سيجعل الامر اكثر صعوبة لتتمكن من النسيان.
ولكن ربما هذه المرة ستتمكن من عدم الاحساس به
بوجوده وبذلك تتخلص نهائياً من التفكير فيه.

لقد مرت اسابيع ولم تره فيها. ولقد فكرت فيه كثيراً.
ربما ستشفى منه نهائياً ان رآته في اجواء مختلفة.
ربما لن تشعر بشيء، وقلبها لن يضطرب مطلقاً.
ربما ستجد ان كل ما كانت تفكر فيه كان غلطة من
قبلها.

وفي النهاية، هي تريد ان تتخلص من الاحساس
به. فهذا الاحساس في داخلها يدمر سلامة وراحة
فكرها.

« سمعت نفسها تقول: « يسعدني القدوم. » »

اقلتها دانييلا من المطار بسيارتها الصغيرة ميني
موك والتي تشبه اللعبة.

قالت لها وهي تقود السيارة عبر الشارع الساحلي
الضيق: « سعيدة جداً انك هنا. » واخذت ساشا تراقب
البحر الجميل من خلال نافذة السيارة.

قالت ساشا وهي تنظر الى الانوار الرائعة
للطبيعة: « تبدو جميلة جداً، فالمنظر لا تشبه الا
الصور السياحية التي تعرضها المكاتب للسائحين.

فالتلال مغطاة بالاشجار الاستوائية الخضراء الزمردية اللون والمياه تلمع تحت اشعة الشمس المشرقة. واشجار النخيل تترنح بالنسائم المنعشة. وجميع المنازل والجدران مغطاة بانواع من العليق المليئة بالزهور المتعددة الالوان. انها تناقض كامل عن الحياة السابقة في اوبالابي.»

تحدثت دانييلا عن الجزيرة وعن رسوماتها وعن روس. من الواضح انه سعيد في العيش هنا في الجزيرة. «لقد اشترى قارباً للبحار وطائرة صغيرة. لكنه يبدو وحيداً.»

تابعت دانييلا: «دائماً يبدو وحيداً، اتمنى ان يتزوج ثانية وان يرزق بأطفال. اتمنى ان تنجح الامور بينكما.»

قالت ساشا:

« لا اعتقد انه مهتم بالزواج.»

« اعتقد هذا ما يقوله لنفسه.»

« لم يكن يريدني ان ابقى في اوبالابي. فما الذي يجعلك تعتقد ان يريده ان يراي الان؟»
تنهدت دانييلا:

« لا ادري، ساشا، فقط لدي هذا الشعور.» صممت قليلاً قبل ان تكمل: « اشعر بالذنب لانني طلبت منك القدوم. ربما سيكون عملنا هذا غلطة كبرى وسينتهي الامر بأن تشعري بالالام اكثر وكل ذلك بسببي.»

« لا ، لن يحدث ذلك. لقد دعوتني وانا قررت القبول.»
فحضوره الي هنا هو قراري وحدي.»

ابتسمت دانييلا لها وقالت: « شكراً لك لتخفيف المسؤولية عني.»

انعطفت دانييلا بالسيارة وبدا لهما منظر آخر اشد روعة، خليج صغير رماله بيضاء ومليء باشجار النخيل.

اشارت دانييلا الى التلال المواجهة وقالت:

« انظري الى هذا، تلك هي المستشفى.»

نظرت ساشا فرأت المستشفى مبني على تلة مشرفة على البحر، بناء ابيض ويلمع تحت اشعة الشمس. قالت ساشا:

« يبدو رائعاً، لماذا انتقل روس الى هنا؟ لم يذكر ابداً انه سيغادر اوبالابي.»

رفعت دانييلا كتفيها وقالت: « على ما اعتقد، بعد كل تلك السنوات، لقد حان الوقت لتغيير الاجواء. قرر هو وباكس ان روس بحاجة للاهتمام ببرنامج التدريب. كما وانهما، قررا ان ينقلا مكان منظمة الصحة الي هنا. اتوقع ان يستلم روس ادارة هذه المنظمة يوماً. قد يبدو باكس لا يقهر، لكنه اصبح في الثمانين الآن.»

« سيستلم روس الادارة من باكس في كل اعمال المنظمة؟»

« امر طبيعي. فأخوه جاك يدير بلايين العائلة في نيويورك، وليس هناك احد غيرهما.»

قالت ساشا:

« انتظري لحظة، ما الذي تقصدينه ببلايين العائلة.»

« أعمال العائلة، شركات باكلي العالمية. انها واحدة من تلك الشركات التي تهتم بكل شيء من الجواهر الى المعدات الطبية.»
شعرت ساشا وكأن قلبها سيتوقف عن النبض:
« اية عائلة؟ »

نظرت دانييلا اليها نظرة غريبة بعدها تأوهت وقالت:

« آه، انت لا تعلمين؟ »

« لا اعلم ماذا؟ »

« ان باكس هو جد روس. الم يخبرك بذلك؟ »

شعرت ساشا وكأنه سيغمى عليها وقالت: « لا.. »
ابتسمت دانييلا وقالت:

« حسناً، لا يعتبر روس من الاشخاص الذين يحسنون التعامل مع الناس.»

قالت غاضبة:

« لا، لكن روس لا يشبه جده مطلقاً. فباكس ضعيف ومضحك الهيئة كما وانه ساخر جداً، اقصد... » وبدأت تضحك، لم تستطع الا ان تضحك.

ابتسمت دانييلا وقالت:

« لقد كان والد روس وسيماً جداً لقد رأيت له بعض الصور. فعائلة زوجي وآل باكلي اصدقاء منذ زمن بعيد جداً. كما وانك لا تخدعي نفسك بخصوص باكس. لقد رأيت في بدلة من ثلاثة قطع، وصدقيني انه يجعلك ترتجفين من رأسك حتى قدميك عندما يتحدث عن الاعمال.»

حسناً، انه ليس بالصدفة بليونيراً. نظرت ساشا الى

الخارج وقالت: « وما هو دور منظمة الصحة في كل هذا؟ »

« يقول باكس انها عمل انساني. فلقد علم كيف يصنع المال ويريد ان يعلم ان كان جيداً ايضاً بانفاقه، فباكس رجل اعمال ناجح جداً لكن قلبه مليء بالانانية. وبالطبع لا يمكن القول انها مجرد عمل انساني بل انها منظمة كبيرة بحقوق عالمية وتنظيم مهم لشركات باكلي وان كانت لا تتوخى الربح.»

أخذت ساشا تصغي لدانييلا وهي تخبرها عن عائلة روس. فزوجة باكس قد توفيت منذ تسع سنوات. ووالدة روس وجاك كانت ابنتهما الوحيدة. فاهتم باكس وزوجته برعاية حفيديهما بعد ان خسرا والديهما في حادث مروع.

وصلتا الى المرفأ الملكي ورأت ساشا مزيجاً رائعاً من الالوان للمنازل الموجودة هناك وكان هناك مباني فرنسية الطراز ومباني تعود للعهد الفيكتوري. اخذت ساشا تنظر بامعان وهي تحاول ان تستوعب المعلومات الجديدة عن روس. مع انه ليس من السهل القيام بذلك.

قطعتا العاصمة واستمرتتا بالسير على محاذاة الشاطئ، الذي كان يمتاز اكثر واكثر بالمناظر الرائعة من الشواطئ المغطاة باشجار النخيل وبالمياه المتعددة الالوان في الكاربيبي.

بعد مرور عشر دقائق قالت دانييلا وهي توقف

سيارتها امام فيلا بيضاء مغطاة جدرانها بالازهار: «ها قد وصلنا. وفي الوقت المناسب لتناول شراب ما وبعدها سنتناول العشاء.»

بدا لها كل شيء كقصص الخيال، هذا ما فكرت به تلك الليلة، فالمنزل مشرف على البحر وقد تناولتا العصير على الشرفة المليئة بالزهور كذلك العشاء الشهي من السمك المشوى والخبز الشهي، وغرفتها البيضاء الجميلة بستائرهما الحريرية التي تتمايل مع النسومات المنعشة. نظرت الى نفسها في المرأة وهي تسرح شعرها. كان كل شيء رائع وكامل لولا الالم في معدتها كلما فكرت بروس.

كانت الحفلة الكبيرة ستقام بعد يومين ومن المؤكد ان روس سيحضرها. كيف سيتصرف عندما يراها؟ وكيف ستشعر هي؟

انها متوترة وخائفة وكأنها بانتظار اعصار سيحصل، فهي تعلم انه قادم ولا يمكنها القيام بشيء سوى الانتظار.

في فترة بعد الظهر في اليوم التالي اخذتها دانييلا في جولة في الجزيرة بينما ذهب مارك الى البحر لتفقد يخته. تجولتا عبر القرى الجميلة ومرتا امام حقول شاسعة لزراعة الموز وجوز الهند، وحقول من الاناناس وقصب السكر. وكان هناك حصن اسباني قديم من الجهة الشمالية من الجزيرة وساحل صخري صعب. وفي كل مكان كان البحر الاكثر جمالا بظلاله الخضراء والزرقاء.

قالت دانييلا: «والآن سنتناول الشاي في البلانتيشن، على الطراز البريطاني.» قالت لها ان البلانتيشن من افخم واجمل المراكز في الكاريبي. المكان المثالي للاغنياء والمشاهير كنجوم هوليود، والطبقة المالكة في اوروبا والفنانين المشهورين، جميعهم يأتون الى هنا ينشدون الراحة والوحدة ... مرت السيارة في طريق ضيق واستدارت في منعطف صغير. قالت دانييلا:

«ها هي البلانتيشن في كل جماله الرائع.»
ابتسم الحارس لدانييلا وسمح لها بالمرور.
قالت ساشا:

«انت واحدة من الفنانين المشهورين، فهمت ذلك.»
«بالحقيقة والد زوجي صديق للمالك.»

ركنت السيارة وسارتا عبر ممر ضيق مغطى بالاشجار والعليق المليء بالزهور الى ان وصلتا الى باحة تدعى غريت هاوس حيث يقدم الشاي كل يوم بعد الظهر. لقد كان المنظر الاكثر جمالا الذي رآته ساشا في حياتها. لدرجة انها بدأت تشعر بالراحة والفرح كما لم تشعر بهما يوماً.

اقترب منهما نادل يرتدي بنطالاً ابيض وقميص مزركشة وبابتسامة كبيرة وضع امامهما ابريق من الشاي ووعاء فيه السندويشات الصغيرة والكاتو والكعك. كان كل ما حولها وليمة للعين كما الصحن امامها. اتكأت براحة على كرسيها، وهي ترشف الشاي المعطر، وتراقب ما حولها، الزهور،

العصافير، سحليات تلاحق بعضها على الحائط.
قالت وهي تبتسم ابتسامة كبيرة:
« هذه هي الحياة.. »
عندها رأت روس.

الفصل التاسع

كان روس يدخل الساحة وهو مرتدياً ثياباً بيضاء
للعب التنس ويحمل بيده المضرب، كذلك المرأة ذات
الشعر الاسود معه. كانا يضحكان ويبدوان رائعين
معاً، ويشعان بالمرح والصحة، ومن الواضح انهما
بحاجة لشراب شيء ما بعد مباراة في التنس. مسح
روس وجهه بمنشفة بيضاء كانت على رقبتة وكان
شعره متساقط على جبينه.

بدا شديد السمرة بخلاف بنطاله وقميصه المشعان
بالبياض. نظر حوله باحثاً عن طاولة فارغة.
تبعته ساشا حركة عينيه وهي تشعر وكأن قلبها في
حلقها.

بعدها رآها. بدا وكأن الزمن توقف، نظر اليها ونظرت
اليه. لم يكن هناك شيء يتحرك حتى اوراق الشجر.
نسيت ان تتنفس، لم تشعر بأن هناك اي صوت قد
يصل الي مسمعها. كان هناك فقط وجهه، وعيناه
الداكنتان تنظران اليها فسيطر عليها مزيج من
العواطف والخوف ايضاً.

كانت تتمنى لو ان عواطفها المجنونة قد زالت مع
الوقت، وان كل ذلك الحب والاحساس قد ذابا. وانها
عندما تراه ثانية لن تتأثر البتة. لكنها متأثرة.
بعدها بدأ بالتحرك نحو طاولتهما. شعرت وكأنها لا
تستطيع التنفس وان دمها يتدفق بسرعة في جسمها
وان قلبها يضرب بالم بين ضلوعها.

خطواته الواسعة اوصلته بسرعة بينما كانت المرأة ذات الشعر الاسود تتبعه ببطء.

ابتسمت ساشا له وكانت هذه اصعب ابتسامة في حياتها. كان جسمها يرتجف لا بد انها ستفقد الوعي امام الجميع.

سمعت نفسها تقول: «مرحباً، روس.» بينما كانت تصغي لاضطراب قلبها الذي يضح في اذنيها.
قال: «اهلا، ساشا، دانييلا.» كان هادئاً جداً ولا ينم وجهه عن اي تعبير.

عرفهما على المرأة السوداء الشعر التي كانت فرنسية الاصل وانيقة جداً وجميلة جداً.

كرهتها ساشا، من النظرة الاولى. سمعت دانييلا تقول: «وصلت ساشا البارحة وفكرت ان اعرفها على اجمل مراكز الجزيرة ... لتناول الشاي في البلانتيشن.» نظرت اليهما بثيابهما البيضاء وتابعت: «هل امضيتما وقتاً سعيداً باللعب؟»

اوماً ايجاباً. ونظرت ساشا بدقة الى سيمون، كان شعرها الاسود كثيفاً وعيناها البنيتان تلمعان. ولديها حبة من الماس صغيرة في انفها، تماماً كما تضعها النساء الهنود. كان صوتها ناعماً ولطيفاً ولهجتها مميزة. انها مزيج رائع من الجمال واللطافة.

بعد قليل من المجاملات، انتقل الاثنان الى طاولة خاصة بهما. راقبتهم ساشا وهي تنظر الى جمال جسم سيمون.

سكبت دانييلا الشاي واخذت تتكلم عن الجزيرة، عن

المستشفى، وعن السكان المحليين. لم تصغ ساشا الى ما تقوله، كانت تشرب الشاي وهي تحاول ان لا تنظر ناحية روس وسيمون، محاولة ان لا تصغي الى الكلام الذي يتحدثان به.

سألت، حين لم يعد بإمكانها السيطرة على نفسها: «من تكون تلك المرأة؟»

اجابت دانييلا: «سيمون، آه، انها كونتيسة، وتعيش في قلعة في فرنسا، وهي الآن تقيم في البلانتيشن.» كونتيسة وليس اقل. روس يتحرك في علاقات ومجتمعات ثرية. ولم لا؟ فهو يساوي ثروة ايضاً.

وله كل الحق. كان من الصعب عليها ان تفكر فيه كشخص غني. عندما تتصوره في فكرها لا تجد هناك اي اثر للمال او للمظاهر الباهظة. ترى بلدة افريقية مليئة بالغبار ومستشفى صغير، وروس مرتدياً معطفاً ابيض، يعاين ويخفف عن طفل خائف. وشعرت بلمسته الناعمة على يدها تلك اللمسة الناعمة الآن اصبحت للكونتيسة الفرنسية.

شربت الشاي وهي تصغي لزقزقة العصافير، وللنسيم الرائع الذي يحرك اوراق النخيل، كان الهواء منعشاً جداً على بشرتها.

كان كل شيء رائع الجمال ومثالي جداً لكن بطريقة ما حزين جداً. كان لديها هذا الشعور انها تعيش قصة خيالية حيث لا شيء واقعي لا روس، ولا المرأة بجانبه، ولا هي هنا تشرب الشاي وكل هذا الالم في صدرها والدموع التي تحرق جفونها. قريباً

ستستيقظ في سريرها، منزعجة وحزينة ووسادتها مبللة بالدموع.

قالت دانييلا: «تناولي قطعة الكاتو.»

أكلت الحلوى المصنوعة من الاناناس والمليئة بالكريما، لقد كانت شهية جداً، لكنها كانت بالنسبة لها كقطعة خبز جافة.

كانت تتحدث بصورة اوتوماتيكية، غير متأكدة انها تجيب بمنطق. وشعرت بالراحة عندما اقترحت دانييلا ان تغادرا للعودة الى المنزل والسياحة على الشاطئ الخاص لعائلتها.

عند الساعة الثامنة من مساء اليوم التالي، امتلأت الفيلا بكل الضيوف، وانتظرت ساشا بقلق حضور روس مع صديقه الكونتيسة المميزة. كانت تشعر وكأن قوتها ستنتهار وهذا ما كان يحدث معها طوال النهار.

اخيراً وصلوا، مع مجموعة من الناس الذين وصلوا متأخرين. كانت الكونتيسة تبدو رائعة بثوب طويل فرنسي الصنع. كانت ابتسامتها مشعة وضحكاتها مشرقة وعطرها رائع.

حاولت ان لا تنظر الى روس. كان يبدو رائعاً ببذلة انيقة. كان يرتدي بنطالا فاتح اللون وقميصاً حريرياً. يبدو مرتاحاً وينظر بمتعة الى كل ما يجري حوله، وكأنه مراقب اكثر مما هو مشارك في الحفلة. حسناً هي تعلم كم يحب الحفلات.

خرجت ساشا الى الشرفة الواسعة واتكأت على الدرابزين، وهي تشرب عصير الفواكه الطازجة. كانت

مياه الكاريبي ناعمة وكأنها زجاج تعكس ضوء القمر. كان المنظر من الهدوء والصفاء. مع انها لا تشعر بأي هدوء او صفاء. كان روس في الغرفة وراءها وهي لم تتخلص من شعورها نحوها.

لم تتخلص من الاحساس نحوها بالملطق. انها تشعر بالالام وقلبها مضطرب فهي تريد البكاء، تريد ان تصرخ. تريد ان تعلم ان كان يحب الكونتيسة ذات حبة الماس في انفها.

عاجلاً ام آجلاً، خلال السهرة ستجد نفسها قربه، وهي ليست متأكدة ما الذي ستفعله. لقد تبين انها عاجلاً وليس آجلاً.

ظهر قربها على الشرفة، وهو يحمل كوباً بيده. احست بوجوده قبل ان تراه. ربما الحاسة السادسة ان شعرت بارتجاف في اوصالها قبل ان يتكلم.

قال: «مرحباً، ساشا.»

«مرحباً.»

قال: «كانت مفاجأة حقاً رؤيتك على الجزيرة.»

نظرت الى البعيد. كان قلبها يخفق بقوة وركبتها ترتجفان وشعرت وكأن وجهها يتقد ناراً. كانت كلها كتلة من الاعصاب المتشنجة. سيطرت على قلقها وابتسمت قائلة: «نصحتني صديقاتي بتغيير الاجواء وعندما دعيتني دانييلا، اعتبرت الامر مناسباً لي.»

«بالطبع، اذا، كيف كانت الاحوال؟»

بدا صوتها غريباً عليها وكأنها تسمعه من شخص آخر وهي تقول: «بخير، شكراً لك. فالاعمال جيدة.»

رشف رشفة من شرابه وقال: «علي ان اعترف

انني لم اعتقد انك ستتمكنين من القيام بذلك ابداً.

« لكنني فعلت.» وازافت بصمت، كما ترى.
قال: « نعم.»

حدقت بالمياه امامها، قالت: « تفاجأت عندما علمت انك غادرت اوبالابي. كتبت فيكي لي تخبرني.»
« لقد حان الوقت للتغيير.»

« هل تعجبك الاقامة هنا؟»

« الطقس هنا افضل ويوجد الكثير من الخيارات. كنت احب دائماً الابحار ولقد اشتريت طائرة صغيرة، وهكذا اصبح من السهل التنقل.»

« لم اكن اعلم انك تجيد قيادة الطائرة.» كان هناك الكثير الذي لا تعرفه عنه تابعت: « ولم اكن اعلم ان باكس هو جدك.»

رفع كتفيه بخفة وقال: « لا احاول ان اذكر ذلك، فهذه الامور تعترض طريقي وتجعل الناس يرونني بما لست فيه. افضل ان تحكم الناس علي بما افعله وليس بما املكه.»

انها تفهم ذلك. وبدت لها المناقشة بينهما غير حقيقية. فهي هادئة جداً، مهذبة وعادية كما وانها خالية من اي عداوة.

حسناً، ربما ليست بكل هذا الهدوء.

كانت تشعر بعاصفة من العواطف تحت هذا الهدوء والكلام المنمق. كانت تشعر بالتوتر وبأن جسمها يرتجف على الرغم من الهواء الجاف والمنعش.

قال: « لا تبدين وكأنك ذاتك.»

« كيف لا ابدو ذاتي؟»

« لم تقولي لي ولا كلمة مزعجة او ساخرة منذ التقينا.»

اجابته: « وانت لم تفعل شيئاً مزعج او ساخر ايضاً.» قال وهو ينظر الى عينيها والابتسامة على وجهه: « حسناً، اليس هذا شيئاً جديداً؟»

« حقاً، انه كذلك.» تعمدت ان تبتعد عن حائط الشرفة وتتابع: « ساذهب لأجد ما أكله.»

ودخلت القاعة الى حيث الطاولة الكبيرة المليئة بكل الاطياب والمقبلات. وصل الطعام من مطبخ البلانتيشن بطريقة خاصة وكان من المتعة النظر اليه. لكنها لم تكن تملك اي شهية.

فكانت ترى الالوان تتمازج امام عينيها. اسقطت الشوكة من يدها ووضعت صحنها جانباً وخرجت من الغرفة، مجبرة نفسها على ان تسير بخطى واثقة. جلست على حافة السرير في غرفتها وراقبت يديها ترتجفان. لم يسبق لها ابداً ان كانت ضعيفة الشخصية وخائفة هكذا.

وهذا كله من اجل رجل لا يريد لها، اي اذلال. لم تصل يوماً الى هذا المستوى.

فالعالم مليء بالرجال، وهي بالتأكيد لن تجد مشكلة بايجاد عدد كبير من الرجال الذين يهتمون لها. لكنها لا تريد اي واحد منهم. قرر قلبها المجنون انها تريد طبيبياً مهوساً مصراً على العيش في مناطق نائية من العالم. لما لم تعجب بمحاسب ما؟ او اي انسان عادي؟

تنهدت بعمق. ووقفت بثبات، فهي ستعود الى الحفلة. لا حق لها ان تشعر بالمرض والوحدة ضمن هذا الجو المليء بالفرح. فمع كل شيء، هذه حفلة رائعة. واين سيمكنها ان تجد مزيجاً رائعاً من الناس هكذا؟

استمرت الحفلة، اكلت وتحدثت مع كثير من الناس وابتسمت، وتمنى الجميع للزوجين السعادة، فبعد مرور ثلاث سنوات ما زالوا وكأنهما في شهر العسل. بدأ الناس بالرقص. طلبت فتاة شقراء من روس الرقص. راقبته ساشا وهو يراقصها. كذلك رقص مع دانييلا وعدة مرات مع الكونتيسة المشعة. فكرت بحفلة عيد مولده في اوبالابي وعندما رقصت معه هناك، وشعرت بالشوق لتلك الايام وتذكرت الشوكولا التي قدمتها له.

عند الساعة الثانية عشرة غادر روس مع الكونتيسة وبعض الضيوف. من دون ان يطلب منها ان ترقص معه. وعند الساعة الثانية غادر آخر ضيف. كانت ساشا تشعر بالارهاق، ليس من المجهود الجسدي بل من التوتر العاطفي.

في اليوم التالي اخذها مارك ودانييلا في رحلة بحرية وكانت مريحة جداً. لم يكن هناك ادنى خوف ان ترى روس في المياه البحرية، لذلك كانت تشعر بالامان. وعند المساء ذهبوا للعشاء في مقاطعة الخليج سينامون، حيث يعيش المزارع دايفيد كيتنغ مع زوجته فيونا وهو يزرع جوزة الطيب والقرفة وبعض الفاكهة الاستوائية.

كان روس هناك ايضاً، لكن لحسن الحظ لم تكن

الكونتيسة موجودة. بقي روس ينظر اليها عبر الطاولة، اسقطت شوكتها مرتين وكادت ان تسكب شرابها. واثناء تناول القهوة في غرفة الجلوس تحدث معها بكل تهذيب، وكأنها غريبة عنه ولا يريد ان يزعجها.

رأت انه لا يشبه روس الذي تعرفه واخذت تتساءل ان كان قد طرأ عليه نوع من التغيير. وفي الوقت الذي عادوا فيه الى البيت كانت تشكو من صداع اليم.

يعتبر امضاء اسبوعين في الجزر الكاريبية كالحلم. لكن يبدو لساشا انهما اسبوعان في الجحيم. فروس غير مهتم بها، لديه صديقه الفرنسية الماسية الانف. وهذه ليست وسيلة جيدة للعيش. فهي لا تجد سبباً جيداً لتمضي في تعذيب نفسها.

لقد حان الوقت لتأخذ قراراً منطقياً من انسانة راشدة وناضجة مثلها. عليها ان ترحل عن الجزيرة.

لم تعجب الفكرة دانييلا عندما اخبرتها ساشا صباح اليوم التالي، قالت: «هل ستغادرين بسبب روس؟»

«نعم. لقد املت ان ابرهن لنفسي انني تخلصت من الاحساس به.»

«لكن لم يحدث هذا.»

«لا، وانا لست ممن يؤمن بتعذيب النفس، اذا الشيء الوحيد الذي استطيع القيام به هو الرحيل.»

«لم تمض بعد الا عدة ايام. اعطي الامر مزيداً من الوقت. تعالي، اريد ان اريك شيئاً.»

اخذتها دانييلا الى الاستديو الذي تعمل فيه. غرفة بيضاء ومشعة بالانارة. كانت قد انتهت من رسم

لوحة رائعة مليئة بالالوان واوراق الاشجار الكبيرة التي تلمع عليها قطرات الندى. انها تشع بالالوان وتنبض بالحياة.

كان هناك العديد من اللوحات الموجودة قرب الحائط بعضها غير منته. حدقت ساشا بواحدة منها وتوقف قلبها عن الخفقان للحظة من الدهشة. نظرت الى دانييلا وقالت: «قبعتي!»

نظرت دانييلا الى اللوحة وقالت: «صحيح، لقد نسيتها في منزلي، اذكركين؟ ولم اتمكن من اعادتها اليك.»

قالت ساشا: «وانت رسمتها.» مع ان الامر واضح. فاللوحة كلها للقبعة والالوان المزينة بها تكاد تظهر من الصورة، الوردية الحمراء والريش والدانتيل الحريرية الزرقاء. كانت واضحة جدا وتحت القبعة، على الجهة اليسرى، شعر احمر متوهج الالوان لم يكن هناك وجه ... فقط القبعة والشعر الاحمر.

قالت دانييلا: «هذه القبعة تحفة فنية.» حدقت بها ساشا فضحكت دانييلا وقالت: «قال لي

روس ان هذا هو رأيك بها.»

«نعم، لقد كره هذه القبعة.»

«انه يريد شراء اللوحة.»

لم تكن ساشا متأكدة مما سمعته للتو. حدقت بدانييلا وقالت بصوت كالصدي: «سيشتري اللوحة؟»

«نعم، ولهذا احضرتها الى هنا، لاضع اللمسات الاخيرة عليها واقدمها له.» سارت ناحية الخزانة واخرجت القبعة منها: «اعتقد انه علي اعادة القبعة

لك الآن، كان علي ان ارسلها من قبل، لكنني لم اتمكن من ذلك. اتمنى انك لم تفتقديها.»

خلال اقامتها في اوبالابي، وبعد عودتها، كان القلق على قبعتها من آخر اهتماماتها. اخذت القبعة من دانييلا: وهي تفكر بكلام روس حين سألها: من اين حصلت على هذه القبعة المخيفة؟ عادت الكلمات الى فكرها وكأنه تفوه بها منذ لحظات قليلة. والآن ها هو يشتري لوحة لذات القبعة الكريهة. حدقت بالصورة مرة ثانية. شيء ما اثار اهتمامها فاقتربت من اللوحة لتتأكد مما تراه.

رأت عصفوراً صغيراً يرفرف فوق الوردية الحمراء على القبعة. رفعت نظرها الى دانييلا التي كانت تراقبها بفرح.

قالت: «لم استطع مقاومة ذلك.»

بوجود اللوحة او عدم وجودها، ساشا ستغادر الجزيرة. فحقيقة ان روس سيشتري اللوحة يعني الكثير من الامور، لكنها تتحلى بمنطق يجعلها لا تبني شيئاً من الفراغ. بدأت بتوضيب ثيابها. منذ ايام قليلة كانت تضعهم في الخزانة. ما كان عليها القدوم الى الجزيرة. كانت تؤنب نفسها بصمت وهي تخرج وترتب ثيابها. سمعت وقع خطوات في الممر، وطرقة على باب غرفتها المفتوح. قالت: «تفضل.»

«مرحباً، ساشا.»

نبض قلبها بسرعة وهي تسمع الصوت واستدارت بسرعة. كان روس يقف عند الباب، واضعاً يديه

في جيبه وتعاير وجهه غير مفهومة.
قال: «قالت دانييلا انني سأجرك هنا.» نظر حوله
في الغرفة، ورأى الحقيبة المفتوحة والثياب المرتبة
بداخلها: «اعتقدت انك ستبقين هنا لمدة اسبوعين.»
«غيرت رأيي.»

«اتيت لادعوك للعشاء الليلة.»

توقفت يداها عن الحركة ونظرت الى الثياب المرتبة
في الحقيبة.

سألها: «متى ستغادرين؟»

«غدا عند العاشرة.»

قال: «اذا لديك الوقت للخروج معي هذا المساء.»

ها هو هنا الآن. لم يدعوها مرة من قبل للعشاء.
لقد رقصت معه، سهرت معه، لكنهما لم يخرجوا معا
بموعد، والآن ها هو يسألها.

«قد لا يعجب صديقك الكونتيسة ذلك.»

رفع حاجبه وقال: «لا اعتقد انها ستهتم بذلك بطريقة
او باخرى. فجوردن لا يتمكن من الرقص او من
اللعب بمباراة تنس، لكن بالتأكيد يتمكن من دعوتها
للعشاء.»

جوردن. من هو جوردن.

شعرت باحساس مرعب بأنها ستظهر نفسها كغبية.
فليس هناك من سبب في العالم يدعوها لتسأله من
هو جوردن.

وضعت حذاءً خفيفاً في جيب حقيبتها ووقفت
قائلة: «انتظرني لحظة، احتاج لاحضار شيء ما.»
مرت من امامه وخرجت من الغرفة.

وجدت دانييلا لا تزال في الاستديو، تنظف فرشاتها.
نظرت دانييلا اليها وقالت: «هل غادر روس؟»
«لا، انه في غرفتي. من هو جوردن؟»
نظرت اليها دانييلا مستفهمة وقالت: «انه زوج
سيمون.»

«ولما لا يستطيع ان يرقص او يلعب التنس؟»

«لانه تعرض للالتواء في كاحله. ساشا، لقد عرفتك
عليه! انه الشاب ذات الضمادة على مسند للقدم.»

قالت بغضب: «انه انكليزي.»

«انه كذلك، وما دخل هذا بكل ما نحن فيه؟»

اغمضت ساشا عينيها وقالت: «لم ادرك انه زوج
سيمون. لم ادرك هذه العلاقة بينهما. كل الذي كنت
اراه روس معها يلعب التنس، وروس يراقصها.»

تأوهت وتابعت: «اه، اشعر وكأنني غبية.»

جففت دانييلا يديها بمنشفة وقالت بهدوء: «ساشا،
انت تحبينه، انا لست عمياء او غبية، اعلم كيف
تشعرين عند رؤيته. لقد كدت تنهارين عندما اقترب
من طاولتنا في البلانتيشن.» اعادت شعرها الطويل
الى وراء ظهرها وتابعت: «صدقيني، ليس هناك
اي علاقة بين سيمون وروس.» ونظرت الى عينيها
مباشرة وقالت: «اتمنى ان لا تغادري.»

عضت ساشا على شفتها وقالت: «من الافضل ان
اعود.»

امسكت بكتاب من غرفة الجلوس وحملته معها الى
غرفتها متظاهرة بأنها تركت الغرفة لاجله. كان
روس يقف امام النافذة ويحمل القبعة بين يديه.

وضعت الكتاب في حقيبة يدها وقالت بنعومة: «اكره ان اجلس في الطائرة من دون كتاب اقرأه. هل تريد شراباً ما؟»

«لا، شكراً لك.» نظر الى القبعة بين يديه وقال: «قطعة فنية، هذه القبعة.»

التقت عيناها بعينيه قالت: «رسمتها دانييلا.» وفجأة شعرت وكأنها لم تعد قادرة على التنفس، بدا الهواء قليلاً وخفيفاً.

قال وهو ينظر اليها: «نعم.»

«قالت لي انك ستشتري اللوحة.»

«نعم.»

«لقد كرهت هذه القبعة.»

«غيرت رأيي.»

«لماذا تريد شراء اللوحة؟»

لم يبعد نظره عنها وهو يقول: «لأنها تذكرني بك.»
ابعدت نظرها عنه، وطوت قميصاً حريراً بعناية كي لا يتجعد. فعلت ذلك بصورة اوتوماتيكية، سعيدة ان تشغل يديها بينما فكرها مضطرب بكثير من الاسئلة وقلبها يدق بعنف في صدرها.

قال بصوت هادئ ومنخفض: «لم تجيبي على سؤالي بعد، هل ستأتين معي الى العشاء؟»

اراحت يديها على نعومة حرير القميص وكأنها تتوهم ما تراه، قالت: «نعم.»

الفصل العاشر

تركت ساشا شعرها مسدلاً على كتفها، رفعته من جهة واحدة وثبته بمشط قديم وجدته في حقيبة مليئة بالاشياء القديمة الرائعة اشترتها في مزاد علني منذ عدة سنوات.

نظرت في المرأة. بدت عيناها شديداً الاخضرار، مع قميصها الحريري الاخضر الباهت. تكرر ذات اللون على خطوط طويلة في تنورتها. سيأخذها روس الى البلانتيشن للعشاء مع النجوم والعائلات العريقة، وتساءلت ان كانت تنورتها مناسبة للمكان. لكن، الضيوف يأتون الى هنا ليرتاحوا، وليس ليظهروا ما لديهم في خزاناتهم. اليس كذلك؟ استدارت امام المرأة وابتسمت، فهي تحب هذه التنورة ... انها تناسب جو المرح في الجزيرة بشكل كامل.

وقفت جامدة تتأمل نفسها، وغابت الابتسامة عن وجهها. لا يمكنها ان تنكر انها متوترة، فهي تستطيع رؤية ذلك على وجهها. فهذا ليس عشاءً عادياً، او دعوة عادية من شخص لآخر ليتحدثا عن الايام الماضية. التفكير في تناول العشاء مع روس، و فقط بمفردها معه يجعلها تزداد توتراً. انه عشاء مميز، اتى لاصطحابها بسيارة ميني موك، بيضاء اللون، حذق بها باستحسان واضح وقال: «تبديين جميلة.»

قالت بنعومة: «شكراً لك.» كان كلامه مجرد مديح

عادي، وهذا ما سمعته أكثر من مرة، لكنه ما دام من روس فهو كالموسيقى في أذنيها.
قال: «أنا أسف. المواصلات متواضعة.»
«أنا لست كذلك، فأنا أحب هذه السيارات التي تشبه اللعبة.»

برم شفتيه وقال: «بدا لي الأمر سخيلاً أن اشتري سيارة قوية بينما يمكنك التجول في كل أنحاء الجزيرة في أقل من ساعة.» فتح لها الباب فجلست على المقعد إلى جانبه.

«لو أنني أعيش هنا لا اشتريت واحدة مثلها ولكنك طليتها باللون الزرقاء والخضراء والتركواز المتداخلة مع بعضها ولرسمت شجرتي بلح على الجوانب.»

ضحك وادار المحرك. في الطريق إلى البلانتيشن كان الحوار مهذباً، وهذا ما زاد من توترها، ففي النهاية، لم تكن لديها تجربة حوار هادئ ومهذب مع روس غرانت. لكن ما أن جلسا إلى الطاولة وتناولت شراباً منعشاً حتى بدأت ترتاح. كانت الأجواء مثالية وغرفة الطعام ساحة واسعة مغطاة بالازهار والنباتات. اصطفت الطاولات بطريقة جميلة ووضعت عليها شموع مضاءة لتضفي جواً من الرومانسية على الأطباق الفضية والزجاجية المصنوعة من الكريستال.

قالت: «كل هذا رائع، أشعر وكأنني مدللة ومفسدة في هذا الجو الفاحش من الثراء.»
ابتسم لها ابتسامة مرحة فشعرت بموجة من الحنان

من دفء عينيه. قالت: «قليل من الدلال بين الحين والآخر مفيد للإنسان وسأتمتع بهذه الفرصة جيداً.»
قال: «أمر جيد، انظري لتري أن كان هناك ما سيعجبك أكله على لائحة الطعام.»
«أنت تقول ذلك وكأن هناك احتمال أن لا يحدث ذلك.»

«لفظت ما أعنيه خطأ، فأنا أعلم كم تحبين التجارب الجديدة، ومما لا شك فيه ستجدين شيئاً تحبينه.»

لم يكن الاختيار سهلاً بين الوجبات المحلية والاطعمة العالمية فهناك لحم السلحفاة والسّمك، الدجاج المخلل، والسلطعون الطازج وصلصة حارة. في النهاية طلبت السمك المقلي.

سألها عن عملها بينما كانا يأكلان فأخبرته أنها تفكر في فتح متجر جديد لبيع الثياب والمجوهرات والصناعات اليدوية من بلدان مختلفة، لكن ليس من النوع الذي يرغب فيه السائحون بل أشياء مميزة. لكن مازال الأمر مجرد فكرة وسيطلب منها الكثير من السفر، وهذا أمر مشوق.

كان من السهل عليها أن تتحدث عن الأعمال، فهي لن تقلق باختيار الكلمات المناسبة كي لا تعطيه أي انطباع خاطئ. حتى أنها وجدت نفسها تبتسم، حينها أدركت أنها تتكلم كثيراً ومنذ وقت طويل وهولم يقل شيئاً. فتوقف عن الكلام، ورشفت رشفة من كوبها وأخذت تصغي لصوت عصفور على شجرة قريبة.

قال: «لا اعتقد انك ستجدين نفسك يوماً مليئة بالضجر والملل.»

مدت يديها الى الامام وقالت: «العالم كله ملعب كبير، وبامكانك ان تتزحلق وتتسلق وتتأرجح متى تريد، كما لا اتخيل انني قد اصاب بالملل.»

قال: «لكن احياناً قد تضربين رأسك وتجرحين ذراعك وتكسرين ساقك. واذا كنت جبانة تقرر ان لا تخاطري ثانية فتجلسين على مقعد وتقولين ان هذا هو نهاية الامر.»

تسارعت دقات قلبها، فهي ذكية وتعلم ما الذي يقصده. انه يتكلم عن نفسه، وعن زواجه الفاشل، وعن خوفه من الحب ثانية، قالت بهدوء: «بعض الآلام اسوء من غيرها، ومن الواضح، ان كنت في ضمادة من رأسك حتى قدميك، فلا يمكنك تسلق الجبال لفترة.» ابتسم ابتسامة صغيرة وقال: «يعجبني تصورك للامور.» وضع شوخته جانبا وقال: «ما رأيك ببعض الحلوى؟»

من الواضح انه تحدث عن الرموز والخيال كثيراً من قبل وقد حان الوقت ليتراجع ويعترف بالحقيقة. تناولوا حلوى الموس بالمانغا، وبعد ذلك شربوا القهوة.

ما ان انتهيا من شرب القهوة حتى اعادها الى منزل آل بان بوك. خرج من السيارة واستدار ليتمكن من فتح الباب لها.

قال بطريقة عادية: «ما زال الوقت باكراً لنذهب الى الشاطيء.»

«حسناً، دعني اخلع حذائي.» خلعت حذاءها ذات الكعب العالي وحملت بيدها، وتبعته الى ما وراء المنزل حيث هناك ممراً يقود مباشرة الى الشاطيء. قال: «اعطني يدك وسييري على مهل.»

كانت الدرجات محفورة في الصخر وناعمة جداً فتمكنت من خلال ضوء القمر ان تسير بأمان. قدم لها يده لثتكا عليها، وبدلاً من ان تساعد على السير فعلت العكس تماماً. شعرت وكأن نبضها يتسارع ما ان لمس يدها. كانت يده دافئة وقوية وشعرت كأن رأسها يدور، فحاولت بكل قوتها ان تنظر الى موطيء قدمها، لكن ساقها كانتا ترتجفان وكانت تجد صعوبة في تركيز نظراتها، كل حواسها كانت مركزة على لمسة يده.

وصلت بأمان الى الشاطيء لكنه لم يترك يدها. نظر الى تنورتها وقال: «هل ستخرب تنورتك اذا جلست على الرمال؟»

قالت له: «لا.» فشدها الى الارض حيث جلسا معاً. بقيا صامتين لفترة، يراقبان الموج ويصغيان الى صوت الحشرات الموجودة في الاشجار المجاورة وراءهما.

اخيراً قال: «عندما كنت في اوبالابي، قلت لك اشياء مريعة.»

قالت بهدوء وهي تدفع شعرها الى الوراء: «لا اتذكر ذلك.»

«بلى تذكرين.»

«حسناً، اصمم ان لا اتذكر. فأنا اري ان السلام

الحقيقي يكون في الابتعاد عن الاشياء غير السارة.»
لقد عمل على اذلالها حتى الارض، لقد قالت له
«احبك» واجابها «نعم، شكراً، لقد سمعت بذلك من
قبل.»

ساد الصمت ثانية بينهما. نظرت مباشرة الى الماء
امامها، واخذت تراقب الامواج كيف تتكسر على
الشاطئ. والانوار تنعكس في الافق. رأت يختاً كبيراً.
ربما حفلة صاخبة يقيمها اثرياء لضيوفهم في
قاربهم الخاص في جو مليء بالفراخية والثراء.
وقد يكون صاحب الدعوة مديراً، او نجماً سينمائياً
مشهوراً.

قال عندها: «لقد قلت لي انك تحبينني.»

شعرت بغصة في قلبها: «هذه ليست انا، هذه جزء
مني تسيطر عليّ احياناً.»

«نعم، لقد تذكرت الآن. وماذا حدث لها؟»
«لمن؟»

«لذلك الجزء الذي يسيطر عليك.»

انها ما زالت هنا. انها انا. لكنها كانت شجاعة كريمة،
لكن هذا الرجل حطم كبرياءها وجرح احساسها.
والكبرياء المحطمة والنفوس المجروحة لا تشفى
بسهولة.

قالت: «لا اعلم. ربما استقلت قافلة لتدرس العادات
البدائية في برونو. لقد اختفت.»

بقي صامتاً لفترة طويلة، بعدها قال: «هل تعتقدان
ان هناك فرصة لراها مرة ثانية؟»
«لماذا؟»

«لقد عاملتها معاملة سيئة وقلت لها كلاماً سيئاً.
اريد ان اعتذر منها.»

«ان عادت سأخبرها.» قالت ذلك وهي تشعر انها لا
تستطيع التنفس. فكرت انها في حلم. كل الذي تعيشه
حلم وستستيقظ لتجد كل هذا من صنع خيالها.

لكن الحلم استمر فقد ترك يدها ليلمس ذراعها وينظر
في عينيها ويقبلها. شعرت وكأنها انتقلت الى قصة
خيالية وان الامير يقبلها.

كانت تعلم انها تحبه وانها لا ترغب في ان يضمها
احد ويقبلها غيره.

ابتعد عنها قليلاً لينظر اليها في الظلام تمنى لو
انها تستطيع رؤية وقراءة تعابير عينيها، لكن ضوء
القمر لم يكن كافياً.

قال: «لا تغادري.»

شعرت بقلبها يضطرب في صدرها. كان مليئاً
بالظلال وفكرها مليء بالشكوك. هل حقاً سمعته
يقول «لا تغادري» ربما تخيلت ذلك، لم تغادرها
السخرية، فمنذ اشهر كان يريد ان يرحل، وان
تتركه وشأنه. لكن كان هذا منذ فترة طويلة جداً، في
مكان مختلف، في قارة مختلفة ...

اغمضت عينيها لتشعر بالنسيم العليل على بشرتها.
لم يكن هذا عشاء عادياً ... لقد كانت احساسها
صحيحة. روس نادى على ما حصل في السابق.

قال: «لا تغادري» حتى انه لم يطلب منها عدم
المغادرة. انه امر. وهذا هو روس، على احد ما ان
يعلمه التصرف الجيد، وابتسمت من الفكرة.

نظرت الى النجوم في السماء وقالت: «حسناً، لن اُغادر.»

ضمها اليه بقوة فوضعت رأسها على كتفه، قال بصوت ناعم ومضطرب: «تذكرين ما الذي قلته لي مرة عن رغبتني في الشوكولا بالكريما والبندق؟ وانني اذا عملت كفاية يمكنني الحصول عليهم في اي مكان؟»

قالت: «نعم؟»

«لقد اخذت وقتاً طويلاً لاتقبل الحقيقة فيما قلته. لقد اخذت وقتاً طويلاً لأعلم انني كنت ميتاً في داخلي وانني كنت مستمرأعلى ذلك المنوال لاسباب خاصة.»

شعرت بدقات قلبه وهو يتابع: «كل الذي كنت اريده حياة الفانيليا، كنت خائفاً من الشوكولا بالكريما والبندق خائفاً من ان افكر فيها او اتذوقها.»

فكرت، خائف من ان يصاب بالالم ثانية، لكنه لم يقل تلك الكلمات.

ابتعد عنها قليلاً وهو يتابع: «عندما اتيت الى اوبالابي كنت في حالة في السبات العميق.» تابع من دون ان ينظر اليها: «وجودك ايقظني وهذا ما اثار الرعب في. لم ارد ان استيقظ، لم ارد ان اشعر بالعاطفة والاحساس ثانية. لم ارد ان اتشوق لطعم الشوكولا اللذيذة والى حلاوة الحب. لقد حاربت ذلك بكل قوة لدي.» نظر اليها وهو يكمل:

«وهذا ما دفعني لقول تلك الكلمات المريعة لك. اردت ان اجرحك بما فيه الكفاية حتى ترحلين.»

«وهذا ما حدث.»

«كان زواجي فاشلاً جداً، وهذا امر لا ارغب في خوضه ثانية. لم ارغب في المخاطرة في ان احب من جديد.» تابع بصوت قاس وكأنه من الصعب عليه ان يتمكن من لفظ تلك الكلمات: «كنت اتمنى ان اتمكن من السيطرة على نفسي عندما تخرجين من حياتي. ولفترة بدا وكأن ذلك سيحدث.»

«وبعد ما الذي حدث؟»

«رأيتك تجلسين في باحة البلانتيشن، تشربين الشاي.» اغمض عينيه وهو يقول: «لقد بدا لي الامر وكأنني اتعرض لانهييار ثلجي. لقد ايقظني ذلك بالكامل، فعلمت انني لا استطيع الاستمرار بالعيش كما انا، لا يمكنني ان استمر في الانكار انك كنت اعظم هدية قدمت لي وانني رفضتها.»

لم تقل شيئاً، كانت تبتلع الغصة التي تشعر بها في حلقها.

اقترب منها ومرر يديه في شعرها، بعدها امسك بوجهها بين يديه الكبيرتين والقويتين. قال بنعومة: «احبك، فأنت قوية نشيطة وجميلة وانا احتاج اليك في حياتي كلها. اريد ان اتسلق معك الجبال العالية واجلس بقربك على القمم ممسكاً بيدك لناكل الشوكولا بالكريما والبندق.»

طفرت الدموع من عينيها، لكنها تمكنت من الابتسام وهي تقول: «يبدو وكأننا سنصاب بالسمنة، لكن مما لا شك انه امر رائع للغاية.»

ظهر الارتياح على وجهه وقال: «هل تتزوجيني؟»

توقف قلبها عن الخفقان ولم تعد تتمكن من التنفس.
فهي لم تكن مستعدة مطلقاً لسماع هذه الكلمات بهذه
السرعة. همست: «ماذا؟»

شدها اليه بقوة وقال: «لقد سمعتني، واعطني جواباً
واضحاً وكلمة «نعم» ستكون كافية.»

قالت: «نعم.» وكررتها ثانية: «نعم.» في حال لم
يسمعهما.

« وهل تعيشين معي هنا في سانت بارلوق؟ »

« وفي اي مكان آخر تفكر في الذهاب اليه. »

« انها جزيرة صغيرة. وليس هناك الكثير الذي

تستطيعين القيام به. »

ابتعدت عنه ونظرت الى ظل القمر على وجهه

وقالت: « سأجد ما سأفعله، سأتعلم الطيران، سأنشئ

عملاً جديداً، واجد فرص عمل للسكان المحليين وقد

اساهم في رفع المستوى الاقتصادي في الجزيرة. »

تأوه وقال: « كان علي ان اعلم. لا يستطيع احد

ايقافك، اليس كذلك؟ »

ابتسمت له وضمته اليها وهي تشعر وكأن الحب

والفرح بداخلها سيغمرانها، قالت: « لا تحاول حتى

القيام بذلك. »